الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة 8 ماي 1945 قالمة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

تخصص: فلسفة اجتماعية

رقم التسجيل:.....................

الرقم التسلسلي:................

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة الاجتماعية بعنوان:

البيوإتيقا ومستقبل الإنسان

فرانسيس فوكوياما نموذجا

إعداد الطالبة:

عواشرية حياة

أعضاء لجنة المناقشة:

الأستاذ المشرف	الأستاذ الرئيس	الأستاذ المناقش
فرحات فريدة	حميدات صالح	شرماط فائزة

السنة الجامعية: 1437هـ-1438هـ / 2016م-2017م



اللهم انفعنا بما علمتنا ويسر لنا سبيل العلم.

يارب علمني أن أحب الناس كلهم، وعلمني أن أحاسب نفسي قبل أن

أحاسب غيري، علمني أن التسامح هو أكبر مراتب القوة،

وأن الانتقام هو أول مظاهر الضعف.

يارب لا تجعلني أصاب بالغرور إذا نجحت، ولا باليأس إذا أخفقت،

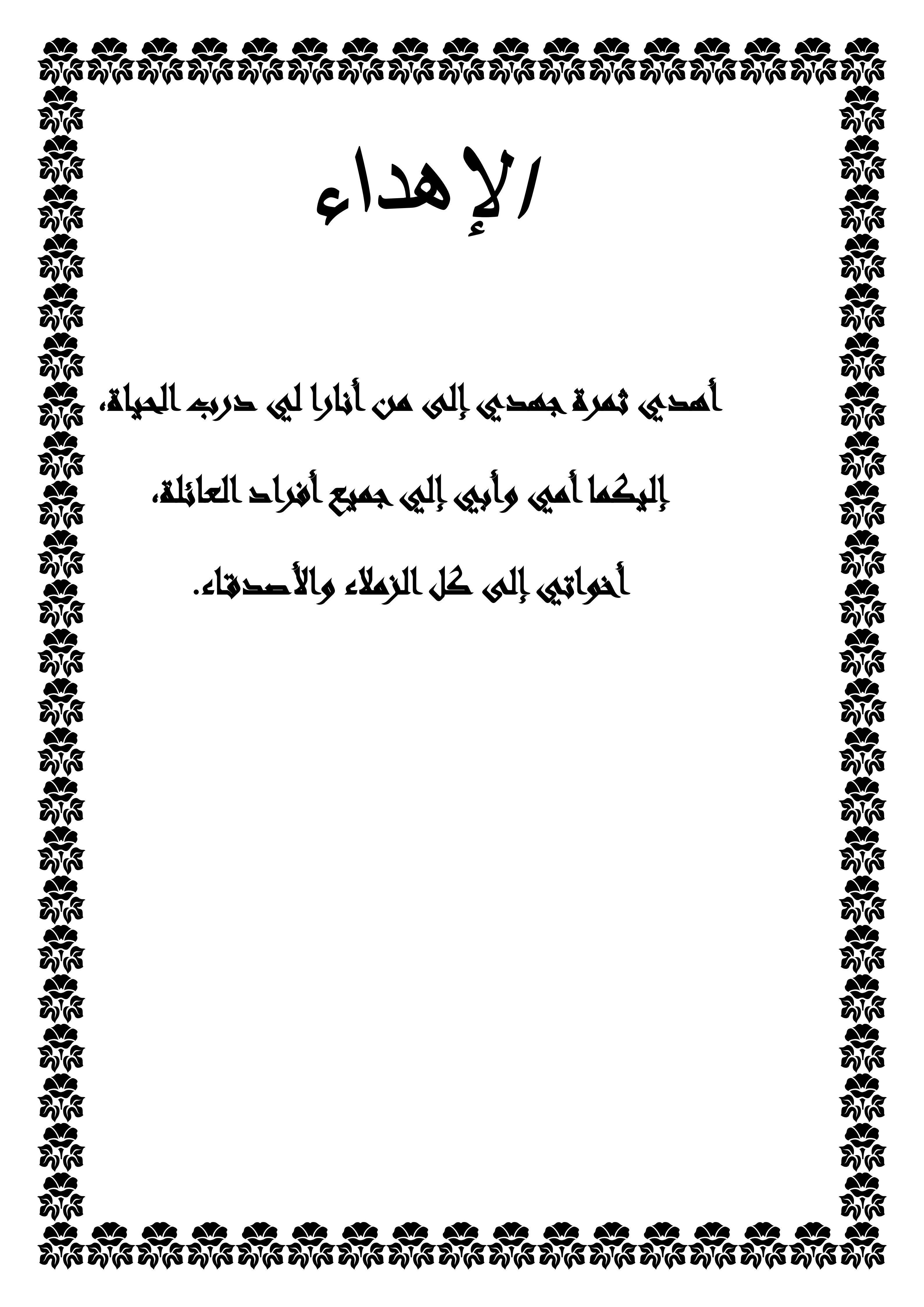
بل ذكرني دائما أن الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح،

يارب إذا أعطيتني نجاحا فلا تأخذ تواضعي.

وإذا أعطيتني تواضعا فلا تأخذ اعتزازي بكرامتي.

وإذا أساء اليا الناس فامنحني شجاعة الاعتذار، وشجاعة العفو.

آمين يارب العالمين.



الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى من أنارا لي درب الحياة،

إليكما أمي وأبي إلي جميع أفراد العائلة،

أخواتي إلى كل الزملاء والأصدقاء.



الشكر والتقدير

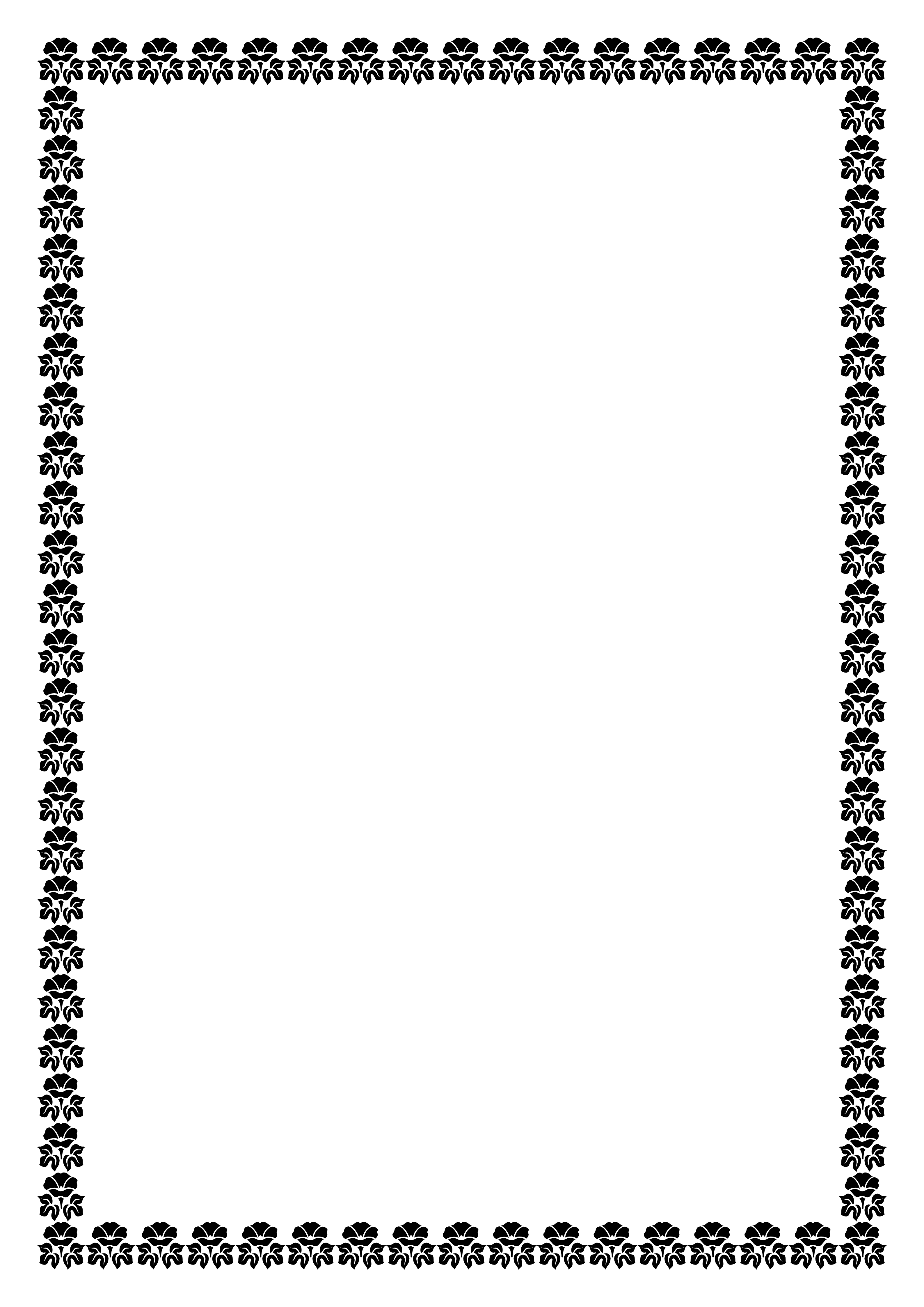
لأن قلت شكرا، فشكري لن يوفيكم، ولكن سعيتم فكان السعي مشكورا

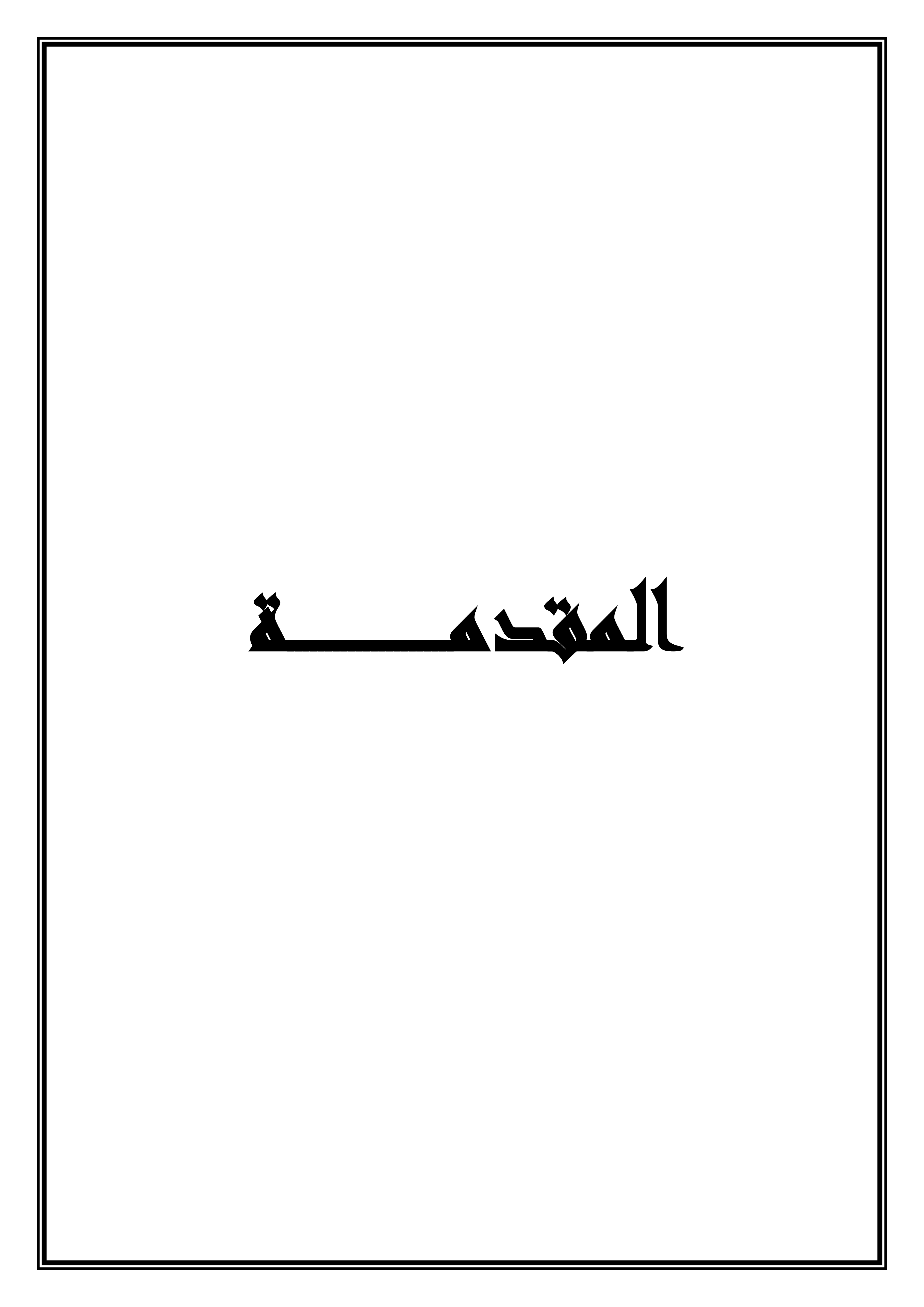
أتوجه بشكري إلى أستاذتي الفاضلة " فرحات فريدة "

التي خصتني بنصائحها وتوجيهاتها القيمة.

كما أتقدم بالشكر إلى الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة،

على قبولهم قراءة ومناقشة بحثي.





المقدمة

مقدمة:

استقطب الإنسان اهتمام الفلاسفة، منذ عابر العصور، حيث كان مدار أمهات المشكلات الفلسفية، التي سايرها هؤلاء في أطاريحهم، من الإغريق في فلسفة السقراطية، فأخذه سقراط محورا للحوار، وموضوعا مارس عليه منهج التجاهل السقراطي، منهج التهكم والتوليد، ثم تناوله أفلاطون في فلسفة المثالية فارضا قداسته في عالم المعقولات، الذي أسسه بالجوهر الماهوي، القائم في فاعلية الذات، وفي الفلسفة الأرسطية كان موضوعا محوريا في المنطق والسياسة والأخلاق، وتم الاهتمام بهذا الكائن في الفلسفات الحديثة، فتناوله كانط كعقل يحض بالقداسة، والمطلقية التي تجعله في ملئ من الوقوع في الخطأ، ليكون بعد ذلك موضوع الكوجيتو الديكارتي، الذي صاغه ديكارت وفق مقولته الشهيرة " **أنا أفكر أنا موجود** "، مبررا بذلك الوجود بالماهية التي تسبقه وتؤسس مشروعيته، أما في الفلسفات المعاصرة قد تناول إدموند هوسرل معدلا الكوجيتو الديكارتي في إضفاء موضوع التفكير، الذي أهمله ديكارت في الكوجيتو، فصاغ الكوجتاتوم وفق مقولته " **أنا أفكر في موضوع ما فذاتي التي تفكر في هذا الموضوع**"، تعني أني موجود، فكان الإنسان موضوع القصدية الهوسرلية، وموضوع المنهج الفينومينولوجي كما اتخذته الفلسفة الوجودية عامة، والسارترية على وجه الخصوص ليكون مشروع الوجود الذي يسبق ماهية الإنسان، يكون أولا ثم يصنع ماهيته في هذا الوجود .

ثم ظهرت النزعة الإنسية في الفلسفات المعاصرة، لتجعل الإنسان مركز وسيدا الكون، هذه المركزية التي حضت بها فاعلية الذات، لم تنحصر في اهتمام الفلاسفة فحسب، وإنما تجاوزت الدراسات الفلسفية لتدخل دائرة العلم في ظل التحولات التي يفرضها واقع العولمة، وتطور العلمي والتكنولوجي سواء في مجال العلوم الفيزيائية أم البيولوجيا المعاصرة ،إلى درجة أصبح العلم قادرا على تغيير الطبيعة وتغيير الكائنات الحية بما فيها الإنسان، فهذا التقدم الهائل الذي طغى على ميادين علوم الحياة أدى إلى التدخل التقني في حياة وجسم الإنسان، وأصبح التجريب على جسم الإنسان ممكن، لكنها ظلت وأصبح التجريب على جسم الإنسان ممكن، لكنها ظلت مشكلة

فلسفية لأنه لم يحسن فيها، ولا تزال المجهودات من قبل العلماء والفلاسفة على حد سواء، لمحاولة إيجاد حلول مناسبة لها أو لتساؤل حول مستقبل الإنسان، إنها محاولة لتحقيق التجاوز للعقل لمستوى التنظير إلى واقع الممارسة لتحقيق التجاوز للعقل لمستوي التنظير إلى واقع الممارسة الفعلية بمعنى المعالجة الميدانية للأزمات، التي يواجهها هذا الإنسان سواء على الصعيد القيمي، ضمن مباحث الأكسيولوجيا، أو على صعيد البنية، بمعنى الجانب الفيزيولوجي للإنسان، كل ذلك استوجب حتمية اختراع الآلة بعقل الإنسان لتخلع عنه ثوب السيادة لصالحها، ليغدو عبدا وأسيرا لها غير أن ما يصيب هذا الإنسان من تقدم في السن، ومختلف الأمراض التي تهدد وجوده بات لزام التفكير في الأسس، والمناهج العلمية والنفسية، وحتى التربوية منها للمحافظة على حياته واستمرارها والتنبؤ بمستقبله.

فأصبحت البيوإتيقا اليوم مرجعية عمومية لمواجهة التحديات التي تطرحها الثورات العلمية لمواجهة التحديات التي تطرحها الثورات العلمية الجديدة في عدد من المجالات.

فالإنسانية يحق لها أن تعبر عن قلقها من خطر إمكانية إساءة استعمال المعرفة العلمية الجديدة، بعيدا عن القيم الأخلاقية الإنسانية، وعليه فإن خطاب أخلاقيات الطب والبيولوجيا والبيوإتيقا ليس خطابا معارضا للتكنولوجيا والتقدم العلمي، وإنما هو خطاب يرسم الخطوط الحمراء التي يجب عدم تجاوزها لما يشكله ذلك التجاوز من إطار على الإنسان والحياة.

فإذا كانت التكنولوجيات الحيوية تعتبر أحد المظاهر الحاسمة للتقدم التقني ، الذي يشهده عصرنا فإن ثمة سؤالاً ينفتح على أفق فلسفي لا يقل أهمية وقيمة عن السؤال الأخلاقي، وهو ذلك المتعلق بالتقدم التقني الذي تفتحه الثورة البيوتقنية في أفق الألفية الثالثة لأن هذا السؤال يتعلق بصيرورة الكائن المعاصر من حيث صيرورة

ترتسم في عالم يعيش تحت تأثير قوة هائلة من التقنية الحيوية ، ولأن هذه التقنيات أطلقت جدلاً واسعاً بشأن المسألة الإنسانية والكينونة البشرية.

ومن بين الأطروحات التي برزت في احتضان هذا الجدل ، هي أطروحة ما بعد الإنسان، والتي تبناها "**فرانسيس فوكوياما**" والذي اخترته كنموذج للدراسة، فبعد انتقاله إلى الكتابات الفلسفية طرح مؤلفه "مستقبلنا ما بعد بشري"، الذي حاول فيه أن يثبت أن الثورة البيو- تكنولوجية هي في طريقها إلى خلق شروط تاريخ ما بعد الإنسان، بحيث يستند في قوله هذا إلى تأثير ثورة تكنولوجيا الإعلام ، وثورة البيوتكنولوجيا، فيعتقد أن هذه الثورات البيوتقنية هي التي ستحدث انقلاباً في صيرورة العالم ، بحسم التاريخ الإنساني والولوج من جديد إلى تاريخ ما بعد الإنسان أي مستقبل الإنسان الذي لم يولد بعد، ومن هذا المعطى المعرفي والمنهجي اهتم الفيلسوف الغربي بالإنسان، محاولا بذلك معالجة مشكلة الإنسان الفلسفية استنادا إلى معطيات البحث العلمي والتطور التكنولوجي الذي يشهده الواقع الراهن، والذي أصبح فيه الإنسان أنات متتابعة تحيا حاضرها الذي ينم عن ماضيها، ويكشف عن مستقبلها الذي يفرض حتمية التجاوب مع تطلعاته، وإيجاد حلول فعلية للمخاطر التي تواجهه حتى يتسنى له تحقيق تجاوزا بذاته، ولآليات عجزه. وعلى هذا الأساس ارتأينا أن نطرح الإشكالية التالية:

- **ما هو موقف فرانسيس فوكوياما من التقدم التقني- التكنولوجي، وأثره على البيوإتيقا، ومستقبل الإنسان؟.**

ثم هناك مشكلات تطرح لنعبر بها عن الفصول وهي:

- **كيف تساهم هذه التقنيات الحيوية في خلق فرد في طور ما بعد الإنسان؟.**

- **وكيف يكون مستقبل الإنسان؟ ، وهل مجالات البيوتكنولوجيا لها آثار على حياة الإنسان؟ . وهل ستصمد الأخلاق أمام هذا التقدم التقني؟.**

وإن البحث عن إجابة لهذه التساؤلات قد كان من بين أهم الدوافع التي جعلتني أختار هذا الموضوع، وكذلك وجود أسباب ذاتية، وأخرى موضوعية، نذكر منها:

01: أسباب ذاتية:

* اهتمامي الكبير بمواضيع اجتماعية، كالبيوإتيقا، والتقدم التقني، وواقع الإنسان المعاصر.

* اهتمامي بفلسفة فوكوياما في الجانب البيو– طبي، وذلك لأن معظم الباحثين يعتبرونه فيلسوف تاريخ، إلا أنه خص جزء كبير من مؤلفاته، للحديث عن البيو– تكنولوجيا.

02: أسباب موضوعية:

* أن الدراسات البيوإتيقية طغت على سطح، وأضحت بؤرة تنصب فيها جميع مجالات الحياة، وتنطلق منها عدة علوم أخرى، كما أن المواطن الأصلية للبيوإتيقا، وفكرة نهاية التاريخ والإنسان الأخير هو الغرب.

* إضافة إلى أن الموضوع يجمع بين الناحية التقنية (الطب) والأخلاقية، ويبرز للموضوع تداعيات أخرى (سياسية، ثقافية، اجتماعية)، ولأنه من المواضيع الراهنة والتي نشأ حولها جدل كبير عند ظهورها.

وتكمن أهمية الموضوع في الوصول إلى الإجابة عن التساؤلات التي تم طرحها في المقدمة، والتعرف على الأثر الذي تخلفه وسائل التطور التكنولوجي على حياة

الإنسان، وواقعه في ظل هذا الكم الهائل من التطور، وبروز الكثير من التقنيات والوسائل.

وقد اعتمدت في بحثي هذا على جملة من المؤلفات التي ساعدتني في إنجاز هذا البحث، نذكر منها:

أهم مصادر الكاتب وهي "**نهاية التاريخ**"، "**ومستقبلنا ما بعد البشري: عواقب ثورة التقنية والحيوية**".

وقد اعتمدت في معالجة هذا البحث على المنهج التاريخي لتتبع مسار فوكوياما فكريا، والمنهج التحليلي لتفكيك المادة المعرفية بغية فهمها، والمنهج التركيبي والذي استخدمته من أجل بلورة تلك الأفكار في نتائج دقيقة.

ولدراسة هذا الموضوع وضعت خطة تتمثل في مقدمة ومدخل مفاهيمي وثلاث فصول وخاتمة.

تناولت في المقدمة (التعريف بالموضوع) ، أي الإحاطة الشاملة بالموضوع، ثم الإشكالية، وتطرقت للأسباب التي أدت بي إلى اختيار هذا الموضوع، والغاية، كما اعتمدت على مناهج كانت كفيلة لإبراز الأسباب، والكشف عن السؤال المطروح والمتعلق بالإشكالية.

مدخل مفاهيمي تناولت فيه التعريف بالأخلاق وصولاً إلى البيوإتيقا.

أما الفصل الأول الذي يحمل عنوان "من أخلاقيات الطب إلى البيوإتيقا"، فقد قسمته إلى مبحثين: المبحث الأول عنونته ب "تاريخ التجارب الطبية ونشأة البيوإتيقا" وهنا تحدثت عن التطور الحاصل في هذا الميدان والتجارب التي قام بها بعض العلماء وهي كانت بداية لظهور مصطلح البيوإتيقا، وعلاقتها ببعض العلوم الأخرى، أما

المبحث الثاني كان تحت عنوان "موضوع البيوإتيقا ومجالاتها"، وهنا تناولت موضوع البيوإتيقا، وأهم مجلاتها.

ودرست في الفصل الثاني الذي يحمل عنوان "موقف فوكوياما من التقنيات الحيوية"، الذي قسمته بدوره إلى مبحثين: تناولت في المبحث الأول "فوكوياما والبيوتكنولوجيا"، تطرقت فيه إلى مسار فوكوياما وحياته، وأهم مؤلفاته، وعلاقة البيوتكنولوجيا بالبيوإتيقا وآثارها على الإنسان، أما المبحث الثاني فجاء بعنوان "البيوتكنولوجيا ومجالاتها"، حيث عالجت فيه الهندسة الوراثية، والاستنساخ.

أما الفصل الثالث فكان بعنوان "مستقبل ما بعد البشري"، وقسمته أيضا إلى مبحثين: المبحث الأول كان بعنوان "الطبيعة البشرية"، تناولت فيه تعريف الطبيعة، وتعريف الإنسان، أما المبحث الثاني يحمل عنوان "الكرامة الإنسانية"، تطرقت فيه إلى تعريف الكرامة، والبحث عن قداستها في ظل ممارسة الوسائل التكنولوجية على حياته.

وختمت الدراسة بوضع النتائج التي توصلت إليها وهي بمثابة إجابة عن تساؤلات إشكالية الموضوع، وتليها بعد ذلك قائمة للمادة العلمية من المصادر والمراجع، التي تناولتها في إعداد هذا الموضوع، وأخيرا فهرس للدراسة.

مدخل مفاهيمي:

أولا- تعريف الأخلاق

أ: لغة

ب: اصطلاحا

ثانيا- تعريف البيوإتيقا

أ: تعريفها

ب: تعريفها عند بعض الباحثين

تمهيد:

يعد موضوع الأخلاق على الرغم من تشعبه من المباحث التي استقطبت أقلام العديد من المفكرين والفلاسفة على السواء، إن قيمته بهذا المعنى لا تكمن في محتوى القيم التي يتضمنها فحسب، بل كونه يساير ويوجه في كل مرحلة من مراحل التاريخ البشري، السلوك الفكري والعلمي لهذا الأخير (الإنسان) أي بعبارة أخرى، يتحدد دور الأخلاق في حرصها على تنظيم الحياة البشرية على تنوعها وترسي القواعد العامة للسلوك والمعاملات، لكن المواصلة في الحديث عن الأخلاق دون فهم ما المقصود بها، يصعب على القارئ إستعابها. **إذن فالمقصود بالأخلاق؟**

أ -تعريف الأخلاق لغة:

الأخلاق جمع خلق، ومرد معناه في اللغة العربية وبعض اللغات الأخرى معنى "**العادة**"[1].

والخلق في اللغة السجية، والطبع، والعادة، والمروءة والدين[2].

وقد جاء في لسان العرب لابن منظور اشتقاق خليق وما أخلقه من الخلاقة، وهي التمرين، ومن ذلك نقول للذي ألف شيئا: صار ذلك له خلقاً، أي مرن عليه [3]، ومن ذلك الخلق الحسنومن أجل هذا عرفه بعض العلماء بأنه علم العادات، لأن علم الأخلاق لا ببحث في أعمال الإنسان الإدارية التي ترسخت في نفسه ونفس أقرانه حتى صارت

---

1 – خالد بن جمعة بن عثمان الخرّاز، موسوعة الأخلاق، ط 1، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت، 2009، ص 21.

2 – ابن منظور، لسان العرب، ط 3، ج 10، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1999، ص . ص 102، 103.

3 – المرجع نفسه، ص 103.

عادات وتقاليد وإما يبحث في توجيهها في طريق الدعوى طبقا لقواعده وقوانينه وفي الحكم لها أو عليها حسب مقاييس الخير التي يضعها[1].

ب-تعريف الأخلاق اصطلاحا:

يعبر عن لفظ الأخلاق **éthique morale** وأصلها لاتيني يوناني، واللفظ عند القدامى يعني ملكة تصدر بها الأفعال عن النفس من غير روية وفكر وتكلف، كما يطلق أيضا على جميع الأفعال الصادرة عن النفس محمودة كانت أو مذمومة [2]، وفي سياق آخر هو مجمل التعاليم المسلّم بها في عصر وفي مجتمع محددين، والمجهود المبذول في سبيل الامتثال لهذه التعاليم والحث على الاقتداء بها [3]، ويرى طه عبد الرحمان أن اليونان استخدموا كلمة **éthico** أي خلقي، وهو ما نقله اللاتينيون إلى لغتهم **moralis** أما المتقدمون فقد استخدموا اللفظين بمعنى واحد أي كمترادفين، بينما المفكرون المعاصرون أقروا بالفروقات الموجودة بينهما ونتج عن ذلك أربع مواقف:

الموقف الأول: يرى أن كلمة **morale** عبارة عن جملة الأوامر والنواهي المقررة عند مجتمع مخصوص في فترة مخصوصة ،أما **éthiques** فهي العلم الذي ينظر في أحكام القيمة التي تتعلق بالأعمال إما تحسيناً أو تقبيحاً.[4]

الموقف الثاني: يرى أن كلمة **morale** تختص بكونها واحدة وكلية تجري أحكامها بالسوية على النّاس جميعاً، في حين **èthique** تختص بكونها متعددة و شخصية تختلف معانيها بإختلاف مذاهب الأشخاص،وأنساق الفلاسفة ويعتبر هذا الموقف أن الكلمة الأولى أعلى درجة من الثانية.

---

1 - عبد الرحمان بدوي، الأخلاق النظرية، ط 1، وكالة المطبوعات، الكويت، 1975، ص 8.

2- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978، ص38.

3 - اندريه لالاند، موسوعة لالاند، تعريب احمد خليل أحمد، منشورات عويدات، بيروت، ص37.

4 - طه عبد الرحمان، سؤال الأخلاق، مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، المركز الثقافي العربي، لبنان، 2000، ص17.

الموقف الثالث: يعتبر **morale** خطاب معياري يبنى على التعارض الموجود بين الخير و الشر باعتبارهما قيمتين مطلقتين بغية تحقيق كمال الفضيلة، أما بالنسبة إلى كلمة **èthique** فيعتبرها خطاباً معيارياً يبني على التعارض الموجود بين الخير و الشر بإعتبارهما قيمتين نسبيتين قاصداً تحصيل السعادة.

الموقف الرابع: ينظر إلى **morale** على أنها دائرة التأمل التي تبحث في مسالة الخير والشر من زاوية ما يجب أن يكون بينما **èthique** هي دائرة التأمل في مسألة الخلاص من أي المصير النهائي للحياة الإنسانية.[1]

كما يعرفها الإمام الغزالي رحمه الله بأنها " **الخلق**" والخلق عبارتان مستعملتان معاً، يقال فلان حسن الخلق والخلق أي حسن الظاهر والباطن، فيراد بالخلق الصورة الظاهرة، ويراد بالخلق الصورة الباطنة.[2]

وكما تعود كلمة الأخلاق إلى اللفظ اليوناني **إتيك** من **إيتوس** تعود كذلك إلى الأصل الروماني **ومورل** من **مورس** وهما يعودان إلى لفظ واحد،وهو العادات الأخلاقية لهذا يميل الكثير من الكتاب العرب إلى استعمال لفظ أخلاق بمعنى مورل وأخلاقيات بمعنى إتيك و الفرق بين المعنيين هو أن كلمة مورل (أخلاق) تحيل إلى سلوك الفرد البشري بينما إتيك (أخلاقيات) تحيل إلى القيم التي تخص المجتمع[3].

1- المرجع السابق، ص 19.

2- أبو ضيف المدني، الأخلاق في الأديان السماوية، دار الشروق، القاهرة، بيروت، 1988، ص 09.

3- طه عبد الرحمان، سؤال الأخلاق، مساهمة في نقد الأخلاقي للحداثة الغربية، مرجع سابق، ص 15.

إذن الأخلاق (مورل) هي قائمة على أساس الفضيلة الفردية في حين أن الأخلاقيات (إتيك) قائمة على القيم الاجتماعية ومن هنا جاء استعمال لفظ المهن الاجتماعية مثل أخلاقيات الطب[1].

وهذا ما يهمنا في بحثنا، لأن مع التطور الذي يشهده العالم اليوم بالإضافة إلى تطور التكنولوجيا ومخاطرها على ميادين حياة الإنسان، وهنا يفقد الإنسان سيطرته مع شعوره في الوقت نفسه بأنه أصبح أكثر عرضة للخطر من أي وقت مضى هذا ما جعل العلماء في هذا السياق ينتبهون في الآونة الأخيرة على وجود نوع من الشرخ بين العلم والإنسان وفي هذا أدرك البيولوجيون أنفسهم أنه لو استمر الحال على هذه الوتيرة دون مراعاة الأخلاق، فسينتهي بنا المطاف إلى الحافة لا محال، وهذا ما عبر عنه الجابري في صورة استفاقة الأخلاق وعودتها بمصطلح الإحراج قائلاً. إن الإحراج الشديد الذي تتعرض له القيم الأخلاقية اليوم من جراء تقدم العلم في المجال البيولوجي والطبي هو الذي يقف وراء ما أسميناه...بعودة الأخلاق، وهي عودة تتمثل بصفة خاصة في ردود فعل تبلورت بكيفية خاصة في قيام ما أطلق عليه في السنوات الأخيرة اسم " **البيوإتيك** " أي أخلاقيات البيولوجيا (أو علم الحياة)[2].

إضافة إلى ذلك فيما يخص هذا الشعور بالعودة إلى الأخلاق، ظهور موجة عارمة من أصوات معارضة تدعو الهيئات الرسمية خصوصاً في البلدان التي تحتكر تقنيات الهندسة الوراثية إلى سن قوانين صارمة للكف عن التلاعب بالجينات[3].

---

1 – المرجع السابق، ص 35.

2 – محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 1997، ص 64.

3 –المرجع نفسه ،ص64.

بينما يعني بلغة مبسطة وعلى سبيل المثال، التدخل في تحديد صفات الكائن مسبقاً، دون أن ننسى في هذا المضمون أن نشير إلى موضوع الذي أثار ضجة أكبر والمتمثل في البيوإتيقا لكن مواصلة الحديث عن البيوإتيقا دون فهم ما المقصود بها سيصعب على القارئ دون شك، ويجعله غير قادر على استيعاب مضمون الأفكار حول البيوإتيقا [1].

إذن ما المقصود بالبيوإتيقا؟

تعريف البيوإتيقا:

أ- اصطلاحا :

La bioéthique (البيوإتيقا) هي كلمة صعبة أن نضعها في سياقها وذلك لاختلاف اللغات والثقافات والأصعب من ذلك حين نحاول حصرها في لغة معينة مثلاً في اللغة الفرنسية هي مترجمة كما يلي: .éthique médicale des sciences duvivantou والأصعب من ذلك حين نترجمها على اللغة العربية فهي مترجمة كما يلي: أخلاقيات علم الأحياء أو أخلاقيات مهنة الطب وعلوم الحياة[2].

و Bioéthique هي أخلاقيات علم الأحياء، أخلاق الطب الحيوي فهي متعددة التخصصات، فرغم كل ما قام به الباحثون إلا أنه يشمل دائماً مجالات متعددة مثل علوم الصحة وعلوم البشرية وهو ما تناوله المؤتمر العام لليونسكو حيث تحدث عن المسائل الأخلاقية المتعلقة بالطب وعلوم الحياة ونطاق التقنيات المرتبطة بها على البشر [3].

---

1 – ول ديورانت، قصة الفلسفة، تر، فتح محمد المشعشع، ط 5، مكتبة المعارف، 1985، ص 23.

2 – Antoine courban, éthique de la bioéthique, théme d'une conférence donne à damas, le 06/12/2003, thexte publié à beyrouth dans la revue travue et jours, n° 73, printemps, 2004, p 77.

3 – nouzha guessous, devenire bioéthicien(ne) tobecome bioethicist (2005 – 2007), p 6.

فكيف ما كانت معاني البيوإتيقا، فإن التفكير في مجال البيولوجيا كثيراً ما يصدم بتنوع القيم التي تميز المجتمعات ذات القيم المتنوعة وهذا ما نجده في القاموس الفكر الطبي فهو يعرض كل الاكتشافات التقنية والطبية عن التطور الطب والتقدم في التكنولوجيا الطبية سواء النافعة أو الضارة كما تتناول البيوإتيقا مواضيع مثل الجراحة التجميلية، الإرهاب البيولوجي، الاستنساخ، القتل الرحيم والكفاح ضد السرطان، إطالة الحياة...الخ[1].

ب- تعريف البيوإتيقا عند بعض الباحثين:

يعرفها **فان بوتر** [*] بأنها تتكون من كلمتين يونانيتين هما bios بمعنى الحياة و ethos ethique بمعنى الإتيقا (أو الأخلاقيات)، وقد ظهر هذا المفهوم في أواخر الستينات من القرن الماضي في أمريكا الشمالية للإشارة إلى التساؤلات الجديدة التي أثارتها التطورات التي حصلت في ميدان الطب والبيولوجيا كما اعتبرها أيضا دمجاً بين المعارف البيولوجية والقيم الإنسانية.

والبيوإتيقا كما عرفها دافيد **روا** مدير مركز البيوإتيقا بموذريال هي الدّراسة متعددة الاختصاصات لمجموعة الشروط التي يفرضها التسيير المسئول للحياة البشرية أو للشخص البشري[2].

---

1 - dominique le court (sous la direction) dictionnaire de la pensée médicle, PUF,2004. P 71.

* - فان بوتر رينسلاير (2001، 1911) أول من استعمل كلمة بيوإتيقا وذلك سنة 1970 في مقال بعنوان " علم البقاء على قيد الحياة " من كتاب عمر توماس، ص 17.

2 - رجاء بن سلامة، مقال البيوإتيقا، سلطة التقنية وتنافر القيم، موقع الحصاد رابط المقال http://VF11.blogspot. Com/2009/12/blog.post-166html.

كما تعتبر البيوإتيقا أحد فروع الأخلاق التطبيقية، فهي طرق وسياقات تهتم بالسلوك الإنساني، الذي يمكن قبوله في إطار القضايا المتعلقة بالمشاكل الاجتماعية، كما يطلق عليها أيضا علم الأحياء، وأخلاقيات العمل، وأخلاقيات الطب[1].

كما تعرفها جاكلين روس في كتابها الفكر الأخلاقي المعاصر بأنها علم معياري يهتم بالسلوك الإنساني الذي يمكن قبوله في إطار القضايا المتعلقة بالحياة والموت وهو يشمل على دراسات تجمع بين تخصصات عديدة تهتم جميعاً بمجموعة الشروط التي يتطلبها التسيير للحياة الإنسانية في ظل التقدم السريع للطب[2].

ومنه فالبيوإتيقا هي بحث أخلاقي تطبيقي في القضايا المطروحة، من طرف التقدم البيو– طبي، فهي الدراسة المتعددة لمجموع الشروط التي يستوجبها تسيير مسئول للحياة الإنسانية في إطار التطورات السريعة، والمعقدة للمعرفة وللتقنيات البيو– طبية فهي علم معياري للسلوكات البشرية[3]، رغم ما قام به الباحثون والفلاسفة من تعريفات للبيوإتيقا إلا أنها تبقى غامضة ومبهمة على الباحث والقارئ ولمعرفة هذه الخفايا. **فما هي الجذور الأولى التي تقوم عليها؟ وبما أن كل علم هو بداية لنهاية علم آخر ، فما هو المنطلق الأول للبيوإتيقا؟.**

---

1 – **Dave Anctil, plande cour, PH 4030, Ethique appliquée, Departement de philosophie, DS 2518, (survendez vou préalable), A 1723. P 04.**

2 – **جاكلين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، تر عادل عوا، ط 1، عويدات للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، 2001، ص ص 94، 95، 100.**

3 – **Edgard marin : maisque l'éthique appliquée la morale non complexe obéit à un code binaire : bien/anl, juste/ injuste.**

L' éthique complexe conçoit que le bien puisse contenir un mal lemal un bien, le juste de l'injuste et l'injuste du juste, p 17, 21.

الفصل الأول:

من أخلاقيات الطب إلى البيوإتيقـــا

المبحث الأول:

تاريخ التجارب الطبية ونشأة البوإتيـــــــقا

أ: نشأة البيوإتيقا

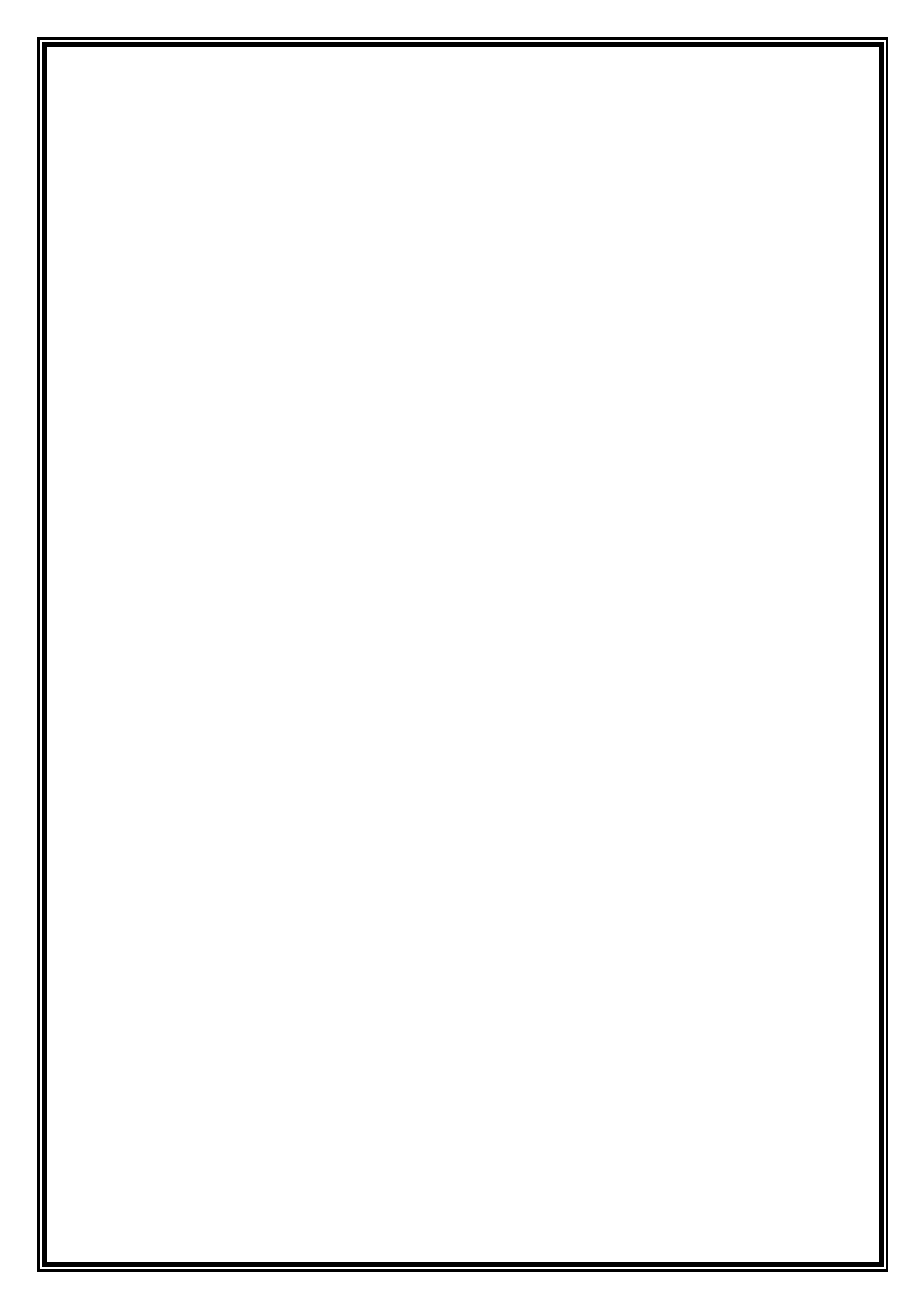
ب: علاقة البيوإتيقا ببعض العلوم

المبحث الثاني:

موضوع البيوإتيقا ومجالاتـــــــها

أ. موضوعها

ب. مجالاتها



تمهيـــــــــــــــد:

يرتبط تقدم العلوم على اختلاف أنواعها بالبحث والتنقيب المتواصل ، وقد يحتاج الباحث في كثير من العلوم إلى الملاحظة والتجربة، وهو حال العلوم الطبية فقد سمحت التجارب الطبية باستخدام طرق علاجية كثيرة للقضاء على الكثير من الأوبئة والأمراض وكل الممارسات الطبية كانت ملازمة لأخلاقيات سواء قديماً أو حديثاً وهذا ما يتبين لنا من خلال تفحص واستقصاء تاريخ التجارب الطبية والتي من خلالها نكشف عند الإرهاصات الأولى لنشأة البيو إتيقا. ومنه: **كيف واجهت الأخلاق التطورات الحاصلة في عالم الطب؟.**

المبحث الأول: تاريخ التجارب الطبية ونشأة البيوإتيقا:

يواجه العاملون في ميدان الطب عموماً، والبيولوجيا الطبية على نحو خاص مشكلات أخلاقية تثير حيرتهم وتدفعهم إلى البحث عن إجابات لتساؤلاتهم ، وقد ازدادت هذه المعضلات الأخلاقية حدة نتيجة التطورات الطبية والبيولوجيا عموماً، وبعد أن أتاح التقدم العلمي والتكنولوجي للأطباء المساهمة في حل مشكلات قديمة كانت مستعصية كمشكلة العقم، مثلاً وذلك عن طريق حل مؤقت هو " أطفال الأنابيب " وكذلك التحكم في الجينات الوراثية للحصول على أنواع مختلفة من الدواء كالأنسولين، والكشف عن الكثير من الأمراض الوراثية التي كانت غير معروفة في عصر سابق (الهندسة الوراثية)، كما أصبح بإمكان الطب إرجاء موت الإنسان عن طريق الأجهزة المختلفة للإنعاش الصناعي (التكنولوجيا الطبية...)، ولكن مثل هذه التطورات كان لابد لها من أن تثير تساؤلات أخلاقية سواء أمام العاملين في مجالها، أو حتى أمام الباحثين خارج نطاقها، كالفلاسفة ورجال الدين[1].

وكون موضوع الطب هو المرض أو الصحة عموماً والمرض خط ر على الحياة والإنسان، أدى هذا إلى إعطائه العناية التامة في مجال التفكير الفلسفي، خاصة منه الأخلاقي، سواء من خلال التعامل مع المرضى أو التعامل مع المريض كإنسان ذلك أن الإنسان والحياة والموت، من الموضوعات التي اشتغل بها الفلاسفة منذ نشأة التفكير الفلسفي التي اشتغل بها الفلاسفة منذ نشأة التفكير الفلسفي إلى اليوم.

وهذا ما يبرز من دون شك ذلك الارتباط الوثيق بين الطب والفلسفة وارتباطهما بالأخلاق خاصة إذا علمنا أن الأخلاق هي القسم الأساسي في الفلسفة.

---

1 – ناهدة البقصمي: الهندسة الوراثية والأخلاق، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1993، ص 38.

إن ما يبرز هذا الارتباط هو تصنيف الفلاسفة للعلوم بما في ذلك الطب. فلو تأملنا تصنيف المعلم الأول أرسطو للعلوم ابتداء من تعريفه للفلسفة التي تعنى بالنسبة له البحث عن مبادئ الأشياء وعللها الأولى لاكتشفنا مكانة الطب بين العلوم عنده، يقول في تعريفه للفلسفة أي للفلسفة الأولى الميتافيزيقية " إنها العلم بالأنساب القصوى، أو علم الموجود بما هو موجود "[1]

من هنا كان للفلسفة عدة أقسام تتفق مع أقسام الوجود نظرية وعملية، منها العلم الطبيعي الذي يبحث في الوجود من حيث هو موجود محسوس متحرك، ومنه الطب، وفي دراسات أخرى نجد العلوم عند أرسطو أن عقولنا تطلب العلم للإطلاع أو الإبداع أو الانتفاع منقسمة بحسب هذه الغايات الثلاثة إلى علوم نظرية (كالرياضيات والطبيعيات) وعلوم شعرية (كالبلاغة والشعر والجدل) وعلوم عملية (كالأخلاق والاقتصاد والسياسة)[2].

فالطب يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأخلاق ، والمقصود بالأخلاق هنا ليست تلك العادات والأعراف ، أو ما يصدر عن الطبيعة البشرية ، بل المقصود هنا هو أن الأخلاق ترتبط أولاً بالفلسفة[3].

وبهذا اتسع مفهوم الأخلاق بحيث أصبحت لا تستند إلى دعامة صورية بل غدت إرشاداً أو اختيار معززاً بالواقع تتعلق أكثر بالعلوم، وهو ما شهده القرن العشرين حيث كان نقطة تحول وتحرر ، حيث تم التخلي عن كل الجذور الفكرية القديمة، بالإضافة إلى أن هذا القرن اتصف بمظاهر ملفتة للنظر ، فقد اكتسب العلم منذ أوائل القرن العشرين أهمية ، تفوق أهمية أي انجاز آخر طوال تاريخ البشرية. فصحيح أن

---

1 – أحمد عبد الحليم عطية: دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1988، ص 9.

2 – محمد عاطف العراقي: الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا، دار المعارف، مصر، 1971، ص . ص 87، 88.

3 – محمد عابد الجابري: قضايا في الفكر المعاصر، مرجع سابق ، ص . ص 37، 38.

الإنسانية تفخر عن حق بفلسفتها وآدابها وفنونها ، وتعتمد بما تدين به هذه الانجازات من فضل في تشكيل عقل الإنسان وروحه ، ولكن المكانة التي اكتسبها العلم في هذا القرن، والتأثير الذي استطاع أن يمارسه في حياة البشر هذا يشمل بالطبع الطب الذي تنوعت مشكلته الجديدة المطروحة في ساعة الفكر الإنساني، كلما زاد تطوره التكنولوجي[1]، ونلاحظ هذا التطور من خلال التجارب الطبية فهناك تجربتين تطبق على جسم الإنسان ،إما بغرض توسيع المعارف أو بغرض القضاء على المرض ، حيث تختلف التجارب الطبية باختلاف القصد العام منها: إذا كان القصد منها علاج المريض وتخفيف آلامه تعتبر التجربة العلاجية، أما إذا كان القصد منها الحصول على معارف جديدة دون أن تكون هناك مصلحة شخصية مباشرة لمن تجرى عليه تكون تجربة علمية أو غير علاجية، من ثم فإن التجارب الطبية نوعان:

أ – التجارب العلاجية:

يراد بالتجربة العلاجية التي يباشرها الطبيب بقصد علاج المريض أو تشخيصه أو وقايته وإيجاد علاج جديد الأمراض [2]، لكن أخفقت القواعد الفنية والأصول العلمية الثابتة في تحقيق علاج ناجح لها ، باستخدام وسائل حديثة في الحالات المرضية التي تفتقد إلى دواء معروف كفيل بتحقيق الشفاء ،وكمثال على ذلك فحص فعالية مُسكّن جديد بالنسبة للأشخاص المصابين بالاكتئاب، أو تجريب لقاح يمكن أن يكون فعالاً

---

1 – فؤاد زكريا: التفكير العلمي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978، ص 220.

2 – مأمون عبد الكريم: رضا المريض عن الأعمال الطبية والجراحية، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، 2006، ص 694.

ضد مرض منتشر وسط مجموعة بشرية معينة فالتجارب العلاجية هي قصدها اكتشاف شيء معين كدواء يقصد به القضاء على الألم ،ومداواة المريض[1].

فالغرض الأساسي من هذا النوع من التجارب هو محاولة إيجاد وعلاج المريض من خلال تجريب طرق جديدة في العلاج، كالأدوية الجديدة والأشعة أو غيرها من الوسائل الحديثة ،ويشبه هذا النوع من التجارب التدخلات العلاجية المحضة ،من حيث الغرض وهو علاج المريض غير أن لهذا النوع من التجارب ميزة أخرى ،وهي إمكانية استفادة المرضى الآخرين من المعارف المكتسبة منها بحيث لا تكون الغاية الطبية من وراء تجربة الدواء الجديد ،ومعرفة الآثار المترتبة عليه.[2]

ولا شك أن العمل الطبي الجراحي ،والعلاجي يهدف إلى شفاء المريض وهما عمل الطبيب في إجراء التجربة الطبية ،وعلى المريض الاستقرار على وسيلة علاجية معينة أكثر تناسب مع حالة المريض وصولاً إلى أفضل نتيجة ،إلى خطوة مشروعة ولا تكون محلاً لإثارة المسؤولية الطبية مادام أنه اتبع في ذلك مسالك الطبيب المماثل له لاسيما وأن المجال العلمي على درجة من الإشباع ،والتغيير الذي يقتضي المحاولة والتجربة المستمرة حتى يتقدم بالتلاؤم مع الحالات المتطورة.[3]

نستنتج أن التجربة العلاجية هي ذلك الجهد الذي يبذله الطبيب بشأن المريض لتحقيق العلاج، والشفاء والقضاء على الآلام التي كان يعاني منها المريض ،أما النوع الثاني فهو التجارب العلمية.

---

1 – عمر بوفتاس: البيواتيقا الأخلاقية الجدبدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا،إفريقيا ،الشرق ،المغرب،2011 , ص 127.

2 – مأمون عبد الكريم: رضا المريض عن الأعمال الطبية والجراحية، ص 694.

3 – رياض هادي وآخرون: مجلة الكوفي للعلوم القانونية والسياسية، جامعة الكوفى، العراق، 2006، ص 17.

ب – التجارب العلمية (المعرفية):

هي التجارب غير علاجية وهي التجارب العلمية التي يقصد بها تحقيق فائدة علمية أو فنية ،والتي تجرى على الشخص السليم دون ضرورة تمليها حالة المريض وذلك من أجل اكتساب معارف جديدة بخصوص الوقاية من الأمراض أو المعالجة الوقائية أو العلاج، [1] فلا يجوز إجراء تجارب علمية على جسم إنسان ،ولو رضي بذلك، لا يكون الطبيب مستعملاً حقاً إذا كان ما أجراه هو مجرد تجربة علمية لم يقصد بها علاج من أجريت عليه بل لمجرد إشباع شهوة علمية أو حتى لخدمة الطب.

فالهدف منها هو المساهمة في التقدم العلمي دون أن تقدم أية فائدة عاجلة لصحة الأشخاص الذين تجرى عليهم التجارب ،ومثال على ذلك التجربة التي تستهدف التحقق من مدى خلو مسكن جديد من أضرار ، والتي تجرى على متطوعين أصحاء أو فحص لقاح أولي من أجل معرفة خصائصه ،مع العلم أنه لا يقي من المرض حيث أجاز ذلك القانون إجراء مثل هذه التجارب ،وذلك بشروط محددة على سبيل الحصر هي:[2] أن يتعين أن يكفل الطبيب حماية حياة وصحة الخاضع لتجربة، كما يجب أن يكون الخاضع لتجربة متطوعاً جيداً، بالإضافة إلى القائم بالتجربة إيقافها فوراً إذا رأى أن الاستمرار فيها يمثل خطراً على الفرد الخاضع لها.[3]

ومنه نستطيع القول أن الأهمية العلمية للتجارب العلاجية أصبحت ضرورة حتمية تطبق على الإنسان خاصة لتخفيف الآلام والدعوة إلى الشفاء.

---

1 – مروك نصر الدين: الحماية الجنائية للحق في سلامة الجسم، الديوان الوطني للأشغال التربوية، ط 1، 2003، ص 296.

2 – أيمن مصطفى الجمل: مدى مشروعية استخدام الأجنة البشرية في إجراء التجارب البحث العلمي، دار الجامعة الجديدة، إسكندرية، 2008، ج 8، ص 46.

3 – المرجع نفسه، ص 48.

إن العلم الذي كان مصدر تقدم الإنسان ورفاهيته وأمنه، والذي استطاع الإنسان من خلاله أن يجد الحلول لمشاكله صار مشكلة، حيث تحول من أداة في يد الإنسان إلى معبود يخضع له، لقد صارت العلوم والتقنيات الحديثة تثير الخوف فالتكنولوجيا الحديثة التي زادت من قدرات الإنسان زيادة ضخمة بحيث تحول من خالق هذه التقنية إلى موضوع لها، فالعلم صار غاية الخطورة فالإنسان ينزع إلى التجريد والتجريب لا في الطبيعة الخارجية فقط بل في الكيان الإنساني [1]، إن التطورات الكشفية والتجريبية والتقنية في العلوم البيولوجية أفرزت نزاعات عديدة قادها مفكرون وعلماء كانت متفقة في عمومها على التحكم العنصر العر قي الوراثي والجيني في مصادر وأساليب ومنتجات التقدم والتحضير نتيجة التطورات التقنية في البحوث العلمية البيولوجية الجينية من نتائج هو أن التقنيات التصرف في الجينات وما توفره من فرص وإمكانيات تحسين النوع البشري تحمل خطراً ليس على التوازنات والأخلاقيات فحسب ،وإنما تقوده إلى ما هو أخطر، أي ظاهرة استعباد جديدة للبشر بتحويلهم من مادة قابلة لتكيف والتصرف أي تحويل العلم من مشروع السيطرة على الطبيعة إلى مشروع السيطرة على الإنسان[2]، طرحت هذه الثورة الطبية البيولوجية مشاكل أخلاقية لم تعرفها الإنسانية من قبل كما وضعت الإنسانية أمام معضلات شائكة يستعصى حلها على العالم أو الطبيب وحده، مما تطلب تضافر جهود أبرز الفعاليات الاختصاصية في المجتمع من فلاسفة وعلماء الدين ،والبيئة ،والقانون، والسياسة ،إضافة إلى الأطباء والباحثين في ميدان علوم الحياة. وترتبط هذه الإشكاليات بطبيعة الحياة والموت وهوية الإنسان وكرامته ومصير الأسرة وسبل التعايش واحترام حقوق الإنسان واضطلاع الأطباء

---

1 – مارتن هايدغر: التقنية، الحقيقة، الوجود، تر، محمد سيلا وعبد الفتاح الهادي مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1995، ص . ص 43، 86.

2 – جيلالي بوبكر : فلسفة العولمة وبيانها النظري، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 7، 2011، ص 23.

بواجبات ومسؤوليات جديدة وقد ساهم ظهور هذه الإشكاليات في انبعاث جديد للفكر الأخلاقي توج بنشأة مبحث حديث في الولايات المتحدة الأمريكية أطلق عليه "Bioethics" **فماذا يقصد بهذه الكلمة؟ وأين ظهرت لأول مرة؟ وعلى يد من؟ وما هي أهم المواضيع التي تناولتها؟ وما هي المجالات التي كانت تهتم بها؟.**

أ – نشأة البيوإتيقا:

مصطلح نشأ في العقدين الأخيرين من هذا القرن ، مبحث جديد يهتم بالتفكير الفلسفي في البيولوجيا ،وبصفة خاصة في فرعها المختص بالهندسة الوراثية "**Le génie génétique**" ويعرف هذا المبحث الآن بالمصطلح الجديد "**Bioéthque**" الذي اعتمدته القواميس منذ سنة 1982، وهو يلقى حالياً نجاحاً ملموساً، ويدور حوله نقاش لعله من أهم نقاشات الفلسفة والقانون في نهاية هذا القرن، ولا داعي للاستغراب فقد كان الدافع العلمي إلى تطوير البحوث في علم البيولوجيا المعاصرة من قبل ذا مرامي إنسانية محددة وواضحة ،تتمثل في معالجة بعض التشوهات والانحرافات الناتجة عن الأمراض الوراثية، بينما يظهر الآن أن هذا الدافع يتجه وسيتجه أكثر في القرن المقبل نحو القيام بدور الطبيعة ذاتها [1]. أما البيوإتيك أو أخلاقيات البيولوجيا. التي تهمنا هنا، فليست أخلاقيات مهنة العالم البيولوجي وحسب، بل هي أيضا أخلاقيات التطبيقات الطبية... ظهر هذا المصطلح منذ أزيد من عقدين من السنين ليدل على مجموعة القضايا الأخلاقية التي تخص الحياة والكائن الحي، ثم اتسع مدلوله ليشمل المسائل التي تطرح في إطار العلاقة بين الإنسان... وبين محيطه الطبيعي والاجتماعي ،وعندما قفز علم الأحياء قفزته الجديدة في مجال المورثات، وظهرت تطبيقات طبية جديدة تماماً تخص التحكم في الإنجاب والنسل بصفة خاصة،

---

1 – عمر بوفتاس: البيواتيقا نحو فكر أخلاقي جديد، دفاتير فلسفية، العدد 9، 2015، ص61.

بدأ مصطلح بيوإتيك ينصرف إلى هذه التطبيقات والمشاكل التي تثيرها من الناحية الأخلاقية[1]، التي يضعها علم الأحياء بين يدي الطبيب مثل إمكانية تجميد الأجنة وإمكانية امتناع المرأة من تحرير الذي في بطنها كذلك إنجاب أجنة من أبوين وأمين وإمكان اختيار نوع الولد من خلال التدخل في البويضات ، وكذلك إمكانية دراسة الأمراض الوراثية قبل مجيء الطفل وهنا تكمن مسؤولية الطبيب نحو المريض [2]، فولادة أخلاقيات علم الأحياء أو كما يعرف بالبيوإتيقا غير مجرى كل العلوم ،وهذا المصطلح ظهر مع عالم الكيمياء الحيوية فان رينسلار بوتر* الذي أراد لفت الانتباه على حقيقة أن العلم قد خطى خطوات كبيرة دون أن ينتبه إلى أخلاقيات هذا العلم، وكان أول استعمال لهذه الكلمة (البيوإتيقا) سنة 1970 في مقال بعنوان " **البيواتيقا علم البقاء**" وكان بوتر يهدف من خلال هذا العلم إلى إعادة النظر في العلوم خاصة في مجال الطب ،لهذا أراد تأسيس علم جديد، علم البقاء أو علم الاستمرار على قيد الحياة ، وهو يرمي من خلال هذا العلم إلى ربط بين علوم الحياة (Bio) والقيم الإنسانية ،والقواعد الأخلاقية (Ethies)[3]، وهو ما يفحص عنه مضمون كتابه الذي يحدد فيه غاية أساسية ،وهي إنشاء أخلاق تستخدم العلوم البيولوجية بغية تحسين الوضع الإنساني[4].

أما فيما قام به الباحثين حين حصروا معنى البيوإتيقا في القضايا التي تثيرها العلوم البيولوجية وتطبيقاتها الطبية نذكر منهم أندري هيلي غز والذي نخصه بالذكر لأنه نازع بوتر في السبق لاستعمال مصطلح لأول مرة ، إلا أن أغلب الباحثين يرجحون السبق إلى بوتر فإن المؤكد هو أن هيليغرز هو من استعمل المصطلح

---

1 – محمد عابد الجابري: قضايا في الفكر الغربي المعاصر، مرجع سابق، ص 65.

2 – المرجع السابق، ص . ص 65، 67.

3 – Julia Cheptel, Base de Bioéthique, section 1 syllabus programme d'education en ethique, SHS/EST/2008/P1/P15, 16.

4–عمر بوفتاس ،البيوإتيقاالأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا ، مرجع سابق ،ص 14.

للدلالة على معنى ضيق يروج حالياً في أوساط البحث والممارسة الطبية كما أن هيليغرز هو أول من أعطى الانطلاقة الفعلية لدراسة الجامعة المتخصص في هذا المبحث الجديد، كما أنه هو من رسخه كحركة اجتماعية كما أنه هو من أسس المركز أو مؤسسة جوزيف وروز كينيدي لدراسة التكاثر البشري والبيوإتيقا سنة 1971.[1] مبدئياً تعتبر فكرة البيوإتيقا فكرة أمريكية وهذا يرجع كون أن هذه الفكرة هي فكرة من إبداع أمريكا، فكل تفكير في هذا المجال لا يمكن أن يكون خارج إطار هذه الطبيعة (طبيعة أمريكية) ،حتى أن فكرة البيوإتيقا هي عالمية، يتم التعبير عنها باللغة أخلاقيات الطب وعلم الحياة الأمريكية ،كما تطورت هذه الفكرة في أمريكا أكثر من أي مكان آخر حتى في الكيبيك (كندا) أين نلاحظ استعمال اللغة الفرنسية ، إلا أن الطب علمياً يتغذى من الإنتاج الأمريكي[2]، ولما قلنا بأن القرن العشرين هو قرن الأخلاق لأن بدايته الفلسفية كانت مع الأكسيولوجيا ونهايته كانت مع البيوإتيقا ،هذا الاهتمام نفسه الذي أبداه الإنسان بالقيم لاسيما الأخلاقية منها هذا في بداية القرن العشرين الذي عرف قفزة جديدة في نهاية هذا القرن ليعرف اليوم بما يسمى بالبيوإتيقا أو الأخلاق الحياتية أو الحيوية[3].

بناء على ما سبق تبين أن الأخلاق لم تبقى مجرد قضايا معيارية مرتبطة بالضمير، بل أصبحت ضوابط اجتماعية وحتى دولية – ذات طابع إلزامي – أي أن الأخلاق تم إخراجها من دائرة ضمائر الأفراد إلى دائرة المؤسسات الاجتماعية المختصة وبذلك تم الانتقال من الأخلاق كقيم معيارية تختلف باختلاف الأفراد إلى

1 –المرجع السابق ،ص 15.

2 – العمري حربوش: التقنيات الطبية وقيمتها الأخلاقية في الفلسفة فرانسوا داغوني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2008، ص 45.

3 – محمد حديدي: البيواتيقا ورهانات الفلسفة القادمة، ص 8.

www. Mominoun.com.10/05/2016.

قواعد أخلاقية متفق عليها عالمياً ، وهو ما يعرف بلجان الحكماء في العالم، إن اللجان الأخلاقية تضعها أمام فكر أخلاقي / قانوني جديد ، إلى جانب السياسة والاقتصاد، كما نجد البيوإتيقا ترتبط بالعديد من المجالات المعرفية، والتي لا تقل عنها أهمية، وهنا نتعرف على العلاقة بين البيوإتيقا وباقي المجالات. **فما هي هذه المجالات؟.**

ب – علاقة البيوإتيقا ببعض العلوم:

إن النتائج المحققة والمحتملة في ميدان الطبي البيولوجي، وخاصة في إطار تقنيات الإنجاب الحديثة وتقنيات الوراثية، اقتنعت السياسيين والرأي العام على حد سواء أنه لم يعد ممكناً ترك التجريب والبحث العلميين في المجال الطبي/ البيولوجي ولا محاولة التحكم في ولادة الإنسان وموته وجهازه العصبي، ولا التصرف في الجينات البشرية في يد العلماء الاختصاصيين ، وحدهم مادام الأمر مرتبطاً بالوجود البشري ومصيره وهويته وكرامته ومستقبله على ظهر الكرة الأرضية لذلك تقرر – محلياً ودولياً – أن يتدخل علماء الأخلاق ورجال الدين والسياسة وعلماء النفس والاجتماع وخاصة الفلاسفة ورجال القانون ،لقد حققت أخلاقيات الطب والبيولوجيا خطوة هامة حين ارتبطت بالقانون والفلسفة والدين، **فأين يتجلى الارتباط القائم بين البيوإتيقا وباقي العلوم (الفلسفة، الدين، القانون...)؟**

1– البيوإتيقا والفلسفة:

هناك ارتباط كبير بين البيوإتيقا والفلسفة، فالبيو إتيقا هي أساساً فكر أخلاقي جديد، أي تجديد لمبحث أو فرع أساسي من فروع الفلسفة وهو الأكسيولوجيا ،حسب التقسيم الكلاسيكي للفلسفة إلى ثلاثة مباحث أساسية ،وهي الانطولوجيا أو مبحث الوجود، والإبستومولوجيا أو مبحث المعرفة و الأكسيولوجيا أو مبحث القيم، إلى جانب ذلك كان للفلاسفة دور كبير في نشأة البيوإتيقا وتطورها فبوتر وهيليغرز الذين يرجع

إليهما الفضل في نحت مصطلح " بيوإتيقا "، ورسم المسار العام للفكر البيوإتيقي، إن لمّا فيلسوفين بالمعنى الرسمي للكلمة، فإن ميولاتهما الفلسفية تتجلى واضحة في كتاباتهما كما لا يمكن إغفال الدور الكبير الذي قام به بعض الفلاسفة وعلى رأسهم دانيال كالا –هان في إضفاء الطابع العلماني على البيواتيقا [1]، وفصلها بالتالي عن الأخلاق الطبية الكلاسيكية التي كانت غارقة في اللاهوت المسيحي...

يتجلى الحضور القوي للفلسفة في الفكر البيواتيقي من جهة أخرى في تشكيلة اللجان الأخلاقية،التي صاحبت نشأته وتطوره. فقد كان الفلاسفة من أبرز أعضاء هذه اللجان، وهكذا ظهرت شخصية جديدة وهي عالم الأخلاق ،وهي شخصية علمية ترتبط بالأخلاق كفكر فلسفي وترفض الارتباط بها كفكر ديني، يمكن اعتبار أن أهم أثر تركته البيواتيقا على الفكر الفلسفي هو مساهمتها في تحقيق حلم كان وما يزال يراود بعض الفلاسفة، وهو انتقال هذا الفكر من النخب والجامعات لكي تهتم به الفئات العريضة للمجتمع ،وبالفعل تبلور الفكر الأخلاقي الجديد خارج الجامعة مادامت هذه الأخيرة تريد أن تكون نخبوية ،وترفض أن تكون شعبية ،هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الفكر البيواتيقي على خلاف الفكر الفلسفي السابق. لا يرتبط برموز معينة، ولا حتى بمجال معرفي معين، فكل التخصصات بل وكل الفئات الاجتماعية تشارك في مناقشة القضايا البيوإتيقية، وليس الأطباء وحدهم والبيولوجيين وحدهم، وهكذا أصبحت أخلاقيات الطب والبيولوجيا وما يرتبط بها من القضايا علمية وقانونية ودينية...الخ[2].

---

1 – فوزية علوان وسلمى برحايل: قراءة في الأخلاق العربية عبد الحليم عطية نموذجا، دفاتر فلسفية، تصدر عن كرسي اليونسكو للفلسفة، فرع جامعة الزقازيق، ص 86.

2 – المرجع نفسه، ص . ص 87، 88.

2 – البيواتيقا والقانون:

لقد ارتكزت العودة إلى القانون في المجال الطبي/ البيولوجي على مبادئ حقوق الإنسان بالإضافة إلى ارتباطها بالأخلاقيات التطبيقية وآداب مهنة الطب. لذلك تطرح حركة البيوإتيقية معضلة كبيرة يمكن تشخيصها بالتساؤلات التالية: هل البيوإتيقا في حقيقتها عودة إلى الأخلاق أم عودة إلى القانون؟ و يبين الوقوف على نشأة وتطور وحركية البيوإتيقا لأن الأمر يتعلق بتداخل بين الأخلاق والقانون أو بالانتقال من الأخلاق إلى القانون أو بتحويل تدريجي للمعايير الأخلاقية إلى قواعد قانونية. إلا أن عملية تقنين المجال الطبي / البيولوجي تربط بحركة حقوق الإنسان التي نشطت في هذا المجال مستنكرة ما يحصل فيه من تجاوزات لهذه الحقوق ،ومنددة بما يعرف من انتهاك لكرامة الإنسان، ومنبهة لما يمكن أن يهدد الوجود الإنساني والبيئة الملائمة لهذا الوجود من جراء ما يحصل في هذا المجال من تجارب وأبحاث، ومن جهة أخرى ترتبط حركة حقوق الإنسان بدورها بالحقوق الطبيعية للإنسان المتمثلة – أساساً – في تلبية مطالبه الأساسية التي يمكن إجمالها في التغذية والصحة والأمن والتكاثر وتوفير البيئة الملائمة[1].

3 – البيوإتيقا والدين.

تتميز العلاقة بين البيوإتيقا والدين في هذه المرحلة بتراجع الخطاب الديني مع مجيء الفلاسفة ورجال القانون بكثافة إلى الميدان البيواتيقي، وتزايد أعداد اللجان الأخلاقية والبيواتيقية وقد شهدت هذه المرحلة حدثاً هاماً على المستوى الأوروبي حيث

1 – أحمد عبد الحليم عطية: الأخلاق النظرية والتطبيقية، مرجع سابق، ص 284.

أسست فرنسا سنة 1983 لجنتها الأخلاقية الوطنية والتي تؤكد بدورها على الطابع العلماني اللائكي للأخلاق الطبية الحيوية[1].

انطلاقاً من هذا، تريد البيوإتيقا أن تكون علمانية في طرحها وتحاول تبرير مقاربتها العلمانية بشيء من التوجّه التعدد ى غير المقصي حتى بالنسبة إلى الدين لذا فهي تريد أن تكون متعددة ومتنوعة الأصوات بحثاً عن لغة مشتركة، وبمحاولة العثور على إجابات تليق بالجميع دون تمييز إيديولوجي أو ديني، فقد تبنى المتدخلون تلقائياً المقاربة العلمانية للمسألة، فما هي حقيقة المقاربة العلمانية للإتيقا؟

تشير المقاربة العلمانية في البيوإتيقا إلى بيوإتيقا العالم الأكاديمي والإستشفائي المعاصر والإدارة العمومية، وهي إن كانت متزامنة مع أنماط أخرى من البيوإتيقا إلا أنها تسعى في التوضيح وحلّ المشكلات والنزعات الأخلاقية الحاصلة في الحضارة المعاصرة التقنوعلمية والمتعددة ثقافياً، المتميزة بتراجع الأخلاق الأساسية، الميتافيزيقية والتقليدية. لا ترمي المقاربة العلمانية إلى التخلي عن الأخلاق ذات الأصول الدينية فحسب، بل غرضها تجاوز الأصول الأخلاقية ذات التوجهات الميتافيزيقية والتقليدية المحافظة عموماً والتي وصفها جيلير هوتوا * بما بعد حداثية، وقد مثل الفيلسوف الأمريكي تربسترام انغلهارت هذه المقاربة العلمانية أحسن تمثيل في كتابه أسس البيواتيقا، ففي تقدير إنغلهارت ومن هم على أطروحته نفسها لا تعني المقاربة العلمانية أن المعتقدين أو المؤمنين ليس لهم حق إبداء آرائهم ،ولا يكون لهم صوت، ولا أن يضعوا إيمانهم على الرف. وبالكيفية نفسها لا يطلب من المواطنين الآخرين أن يضعوا

---

1 – المرجع نفسه، ص 288.

*** – هوتوا (29 مارس 1949) هو فيلسوف وجامعي مختص في مسائل أخلاق التقنوعلمية عضو في العديد من اللجان الاتيقية من أهم مؤلفاته، البراديغم البيواتيقي من أجل أخلاق لعالم تقني...إلخ (أنظر مجلة الفلسفة البيوإتيقا والحضارة التقنو– علمية، محمد جديدي، العدد 3، مجلة دراسات فلسفية، نوفمبر 2014، ص.306.**

مسلماتهم الايدولوجيا بين أقواس، إنّما تقتضي ألا يضعوا معتقداتهم في الواجهة وألا ينطلقوا في تبريراتهم من إيمانهم فالحوار يقع على المستوى العقلاني والإنساني [1].

د – العلاقة بين البيوإتيقا وأخلاقيات الطب:

يعتبر البعض أن البيوإتيقا هي امتداد للأخلاق الطبية القديمة بعد أن عجزت عن مسايرة التقدم حلت البيوإتيقا محلها بينما يسعى آخرون إلى إدراجها ضمن تخصصهم كالفلسفة أو القانون أو يضعونها في ملتقى التفاعل بين مختلف التخصصات العلمية ،والمهنية ويقدمها آخرون كتخصص معرفي جديد.

وإذا رجعنا إلى الظروف التي نشأت فيها سيتضح الفرق الكبير بينهما وبين أخلاقيات الطب التقليدية سواء على مستوى الموضوع أو وقع كل منهما على الوسط الطبي والعلمي والمجتمع ككل ،وإن هذا لا ينفي أن الأخلاق الطبية هي الوسط الذي انطلقت منه الحركة البيوإتيقية [2]. ذلك أن القضايا الأخلاقية المرتبطة بالممارسة الطبية لم تنبثق أول الأمر من البيوإتيقا لأنها تستند إلى تقليد قديم يرجع لأبوقراط القرن 5 ق م وظهر هذا التقليد بعد ذلك في شك**ل** " **المدونة الطبية** " أو "**قانون مهنة الطبيب**" أو القواعد الأخلاقية التي تنظم مهنة الطب ومن ذلك المدونة القانونية العالمية لأخلاقيات الطب التي ومنحتها الجمعية الطبية العالمية 1949 أو الإعلان العالمي لهلسنكي 1964 الذي عدل في طوكيو 1975 ثم البندقية 1983 وهونج كونج 1989 وهي بشكل عام تحديد أخلاقيات الطب وواجبات الأطباء تجاه مرضاهم سعياً لتنظيم ذاتي لمهنة الطب وكانت أخلاقيات الطب ترتبط بالسلوك الذي ينبغي أن يلتزمه الأطباء تجاه زملائهم أكثر منه تجاه المرضى.

---

1 – محمد جديدي: البيوإتيقا مقاربة علمانية، مؤمنون بلا حدود، 4 سبتمبر2015، ص . ص 4 – 5.
www. Mominoun.com.

2 – عمر بوفتاس: مرجع سابق، ص . ص 62، 63.

ويرجع للأطباء الإنجليز في القرن 18 تقليد نجده لدى جون جريدري يرى ضرورة تعاطف الطبيب مع مرضاه ثم تطورت هذه النظرة بتأثير توماس بيرسفال صاحب كتاب أخلاقيات الطب[1].

بينما ما يميز " البيوإتيقا " كفكر أخلاقي جديد هو تخلصها من الطابع الديني وسعيها أن تكون مقاربة علمانية. وكتب جوزيف فلينشر أول عمل " بيواتيقي " حتى قبل استخدام بوتر للمصطلح وعنوان عمله الأخلاق والطب والذي شيد فيه فكره الأخلاقي انطلاقا من مطالب المريض وحقوقه. ويتزايد الطابع التكنولوجي للممارسة الطبية أصبح من الممكن توجيه استخدام تقنيات الطب والبيولوجيا نحو أهداف غير علاجية كانتقاء جنس الجنين عن طريق التشخيص المبكر أو زرع الجنين في رحم المرأة اليائسة أو قتل الرحيم[2].

1 – أحمد عبد الحليم عطية: الأخلاق النظرية والتطبيقية، دار الثقافة العربية، القاهرة، 2016، ص 308.

2 – عمر بوفتاس ،المرجع السابق، ص 309.

المبحث الثاني: موضوع البيوإتيقا ومجالاتها:

يصعب حصر كل المواضيع والقضايا التي تتناولها البيوإتيقا بالدراسة والتحليل الأخلاقي، فحسب المعنى الاشتقاقي يمكن أن تغطى البيوتيقا مجالات علوم الحياة كلها بدءاً من الحياة النباتية ووصولاً إلى الحياة الإنسانية المتطورة، أما من الناحية التاريخية، فقد درج الباحثون بتأثير من مؤسسة كيندي، على حصر البيوإتيقا في مجال الحياة والصحة الإنسانيين أي في عالم الطب والصحة بمعناهما العام، ويجد هذا الاختيار الذي يتزعمه هيليغرز مبرراته في توفير هذا الميدان على معارف وعناصر هي من الكثرة بحيث يستحيل التحكم فيها كلها ،إضافة إلى عالم البيئة، ستتطلب الاستعانة بمعارف وعناصر إضافية ليست لها علاقة مباشرة بعالم الطب والصحة مازال النقاش حول القضايا التي تعالجها البيوإتيقا مستمراً. ولكن هناك مواضيع حولها إجماع من طرف أغلب الباحثين، وقد قسمها الباحث الكندي جي ديوران إلى ثلاث أقسام[1]:

أ – موضوع البيوإتيقا:

01: النواة المركزية:

ويتضمن المواضيع التالية: مثل الإجهاض يعتبر من المسائل التي تثير نقاش أخلاقي واسع داخل اللجان المختلفة (الدين، القانون...) ويكون الإقدام على هذا الفعل نتيجة لعوامل عدة، فقد تلجأ المرأة للإجهاض نتيجة رغبة الزوجين في أن يكون لهما ولد ذكر وبالتالي العمل على إجهاض أجنة البناة أو العكس كذلك قد يكون من أجل تحديد النسل[2]، بالإضافة إلى التشخيص المبكر وهو نوعان تشخيص ما قبل الزرع

---

1 – عمر بوفتاس: البيواتيقا، مرجع سابق، ص 25.

2 – أحمد عبد الحليم عطية: قراءة في الأخلاقيات الراهنة، دار الثقافة العربية، القاهرة، 2010، ص 192.

وهو الذي يسمح بإخضاع الجنين وهو ما يزال في مرحلة التكوين من ثمان خلايا إلى إجراء اختبار وراثي تقديري ،والتصرف هذا يجري أولاً لمصلحة الأهل الذين يتمنون تحاشي خطر وجود أمراض وراثية ضف إلى ذلك التشخيص ما قبل الزرع بمستطاعه أن يتنبأ إمكانية حدوث إجهاض في حالة الزرع ،وهذا من خلال التوصية بأن خلايا المنشأة من خارج الجسم قد لا تكون سليمة وقد ترفض [1]. كذلك القتل الرحيم أو الموت الرحيم كما يطلق عليه أيضا عدة تسميات أخرى فهو الذي يلجأ إليه بغرض توفير وفاة سهلة وخالية من الألم[2].

بالإضافة إلى الإنجاب فهو يبدو للوهلة الأولى بديهي مثل الأمومة والنبوة والهوية البيولوجية تحتاج اليوم إلى أن نفكر فيها من جديد خصوصاً وأن هناك مواضيع جديدة لها ارتباط مباشر بها ، كأن تكون هناك والدتان بيولوجيتان، واحدة بالمبيض ،وأخرى بالرحم، وهي ظاهرة موجودة خصوصاً عند تواجد زوجين تواجههما مشاكل صحية في الإنجاب أو بسبب العقم وأمام الرغبة التي تنتابهما في أن يكون لهما ولد. وليس أمامهما من حل سوى الاستعانة بأم بديلة توافق على زرع البويضة المخصبة في رحمها، وكمثال على ذلك ما حدث في جوهانسبورغ لما علم أن مواطنة بيضاء من جنوب إفريقيا 48 عاماً كانت أول امرأة تحمل أطفال ابنتها أو بمعنى أول جدة أم في العالم ،وضعت ثلاث توائم، وعلم في المستشفى أن المواليد الثلاثة صبيان وفتاة، خرجوا إلى الحياة بعد عملية قيصرية، وكانت السيدة " انتوني" قد عرضت على ابنتها أن تحمل عنها أطفالاً بما أن الابنة " كارين " 25 عاماً عاجزة عن ذلك[3].

---

1 – يورغن هابرماس: مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو رسالة ليبرالية، تر، جورج كتوره الهاشم، ط1، المكتبة الشرقية، 2006، ص 26.

2 – جوليان باجيني: الفلسفة موضوعات مفتاحية، تر أديب يوسف شيش، ط1، دار التكوين للتأليف والترجمة، سوريا، ص 30.

3 – ناهدة البقصمي: الهندسة الوراثية والأخلاق، مرجع سابق، ص 142.

كذلك من مواضيع البيوإتيقا الإخصاب الصناعي (التلقيح) وهو عملية علاجية تكون بواسطة الطبيب وهو عبارة عن إدخال حيوانات منوية مستخرجة من الزوج في المسالك التناسلية للزوجة بهدف الإخصاب أو الإنجاب، ولا يتم ذلك عن طريق الممارسة الجنسية المباشرة بين الزوج والزوجة، وإنما يحقن السائل المنوي بطريقة اصطناعية بواسطة المحقن المخصص لذلك [1]. كما أن هناك أيضا بما يسمى بالبنوك المنوية أي أن الأجنة (البويضات الملقحة) الفائضة يتم تجميدها وتباع في مراكز التخصيب الصناعي بمعنى أن الأشخاص يشترون أجنة جاهزة للنقل لرحم أي سيدة كانت ،حتى لو كانت الحاضنة هي الخادمة في البيت، فقد أصبحت تجارة البويضة والحيوانات المنوية تباع في المزاد العلني تتراوح الأسعار بين 2000 – 50000 دولار أمريكي، سلع نسائية أصبحت تجارة في مواجهة الاقتصاد فهي لم تعد صالحة فقط للإنجاب أي مشاكل مرضية بل أصبحت أيضا تباع لشركات التجميل وغيرها [2]. كما أن فكرة البيع وشراء المني ترفضها أغلب الديانات لأن بنوك الأجنة تعيش فوضى عارمة في تضييع الأنساب ففي الغرب بنوك الأجنة تستخدم مني رجل واحد لتلقيح مئة امرأة وفي بعض الحالات قد تكون أم الطفل جدته وأخته في وقت واحد [3]. كما تتناول البيواتيقا أيضاً موضوع التبرع بالأعضاء وزرع أعضاء الحيوانات للبشر فهي عملية نقل وزرع الأعضاء البشرية أو كما يسميه البعض غرس الأعضاء هو نقل عضو أو مجموعة من الأنسجة أو الخلايا من شخص متبرع إلى شخص مستقبل ليقوم مقام

1 – صالحي شوقي زكريا: التلقيح الصناعي بين الشريعة والقوانين الوضعية، دار النهضة العربية، 1422 هـ، ص 11.

2 – نبيه برّي: تجارة الأجنة وعولمة الأنساب، ندوة بعنوان تجارة البويضات والمنويات والأجنة البشرية، بيروت 29 أيلول 2011، ص . ص 3، 4.

3 – أحمد شعبان: علماء الدين: بنوك الأجنة محرمة قطعا لسد الذرائع، 04 نوفمبر 2010.

العضو أو النسيج التالف لدى الأخير [1] كما يشترط في عملية نقل وزرع الأعضاء البشرية أن لا تمس بالقيم والمثل والمبادئ التي رسخت في الإنسانية منذ القدم وأكدت عليها الديانات السماوية، والأصل أن الشخص الطبيعي يخرج عن نطاق التعامل القانوني لأنه يعتبر محلاً مستحيلاً للالتزام، فجسم الإنسان بكامل أعضائه غير قابل لتملك أو التصرف ومع ذلك نجد أن محل عملية زرع الأعضاء ينصب على جسم الإنسان وبالضبط على العضو البشري وذلك أنها من أهم الإنجازات الطبية التي تبعث أمل الحياة في نفوس الكثير من المرضى وهي تمثل أسمى معاني التضامن الإنساني[2]. كذلك الاستنساخ من المواضيع التي أثارت ضجة في المجتمعات وهو يقصد به إيجاد نسخة طبق الأصل عن شيء ما من الكائنات الحية نباتاً أو حيواناً أو إنساناً[3] وأحسن مثال على الاستنساخ هو استنساخ النعجة دولي من خلايا بالغة ،وهو ما لم يحدث من قبل على اعتبار أن الاستنساخ كان يجرى فقط باللجوء إلى خلايا مبكرة غير متخصصة مع الإشارة إلى أن النجاح لم يتم الإعلان عنه إلا عام 1997[4] بالإضافة إلى مواضيع الأخرى التي تناولتها البيوإتيقا كتعقيم المعافين وتحسين النسل كما يعتبره ألبير جاكارد تحسين النسل هو من دون شك المثال الأقصى للاستعمال الفاسد للعلم الذي دونه التاريخ في تطبيقات تنتهك حرمة الجسد انطلاقاً من التصفية العرقية لليهود والفجر والإبادة الجماعية لليهود في الأفران والمقابر [5]، بالإضافة إلى مشكل التحكم في الجهاز العصبي بواسطة الأدوية والعقاقير فقد تعددت استعمال

---

1 – هيثم حامد المصاروة: نقل الأعضاء البشرية بين الخطر والإباحة، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، 2003، ص 9.

2 – قفاف فاطمة: زراعة الأعضاء البشرية بين التجريم والإباحة، مذكرة مكملة من متطلبات نيل شهادة الماستر في الحقوق، كلية العلوم السياسية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2014، ص 120.

3 – زلوم عبد القادر: حكم الشرع في الاستنساخ وقضايا أخرى، ص 09.

4 – المرجع نفسه ،ص،9.

5 – سمية بيدوح: الجسد في ظل التطورات العلمية الراهنة، منشورات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، 2016، ص 51.

الأدوية فهناك أدوية تصلح لعلاج مرض معين وهناك أدوية أخرى مؤثرة على الجانب النفسي من الإنسان الأدوية المهدئة الأعصاب، والأدوية المخدرة والأدوية المؤثرة في السلوك، إذ أن التدخل المباشر في الدماغ البشري بواسطة مواد تزداد فعاليتها يوما بعد يوم، يؤدي إلى التخفيف من أشكال عدة من المعاناة، وقد ظهرت جزئيات دوائية جديدة تخلق حالات من الراحة الداخلية المغرية والجذابة، كما أثارت بعض الأدوية مثل le prozac الذي ينصح به المصابين بالانهيارات العصبية، جدالاً أخلاقياً حاداً، فهل هذا الدواء يمنحنا حقاً الهدوء الداخلي والثقة في النفس؟[1].

كما يعتبر الجينوم البشري من المواضيع التي كانت لها مدى في مجال الأخلاقيات التطبيقية فهي كلمة مركبة من كلمتين من الكروموزوم الصبغي ome بمعنى المورثة كما تفهم عامة والمقطع Gene الأول هي الموجودة في خلايانا، والجينوم هو عبارة عن 23 صبغي التي نرثها من الأب ،و23 صبغي التي نرثها من الأم فكل ما نرثه نحن من خصائص بيولوجية يعبر عنه كاملاً بكلمة الجينوم.

بالإضافة إلى الصحة العمومية والأبحاث الوبائية محددوية[2] الموارد والسياسة الصحية.

ب – مواضيع لصيقة بالنواة المركزية.

وتفرض بدورها تفكيراً أخلاقياً وأهمها منع الحمل ووسائله كذلك التحكم في الولادات بالإضافة إلى الحروب ،والأبحاث حول الأسلحة البيولوجية والكيميائية ، كما نتناول أيضا التعذيب والحكم بالإعدام كما تجرى الأبحاث على الحيوانات وعلم البيئة[3].

---

1 – خالد أحمد الزعيري: الخلية الجذعية، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 341، عالم المعرفة فبراير 2008، ص . ص 328، 329.

2 – عمر بوفتاس: البيواتيقا الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا، ص 26.

3 – المرجع نفسه، ص 26.

ج – مواضيع قريبة:

هناك مواضيع أخرى ترتبط بحياة الإنسان وصحته، وبميدان الطب والبيولوجيا من قريب أو بعيد، وأخرى ترتبط بشكل أو بآخر بالأخلاقيات المعاصرة غير أن هناك من يرى أنه لا ينبغي الانسياق مع توسع ميدان البيوإتيقا لمجرد اكتساب هذا المصطلح لشعبية متزايدة.

د – مواضيع ثلاثية الأبعاد:

تهتم البيوإتيقا بالحالات الشخصية، وبذلك تعني بالقرار الشخصي للمريض والمتدخلين في حالتها الصحية والحوار الذي يجرى بينهم والقرار الذي يتوصلون إليه في آخر المطاف كما تعني بتفكير وتأمل الباحث حول المواضيع المحتملة للبحث وهذا هو مجال الميكرو. أخلاقيات، غير أن البيوإتيقا تمنح نفس العناية لتأثير هذه القرارات على المجتمع ولتأثير المجتمع على قرارات الأفراد إن البيوإتيقا تهتم بالتوازن بين الحقوق وبالهيئات الاجتماعية والقانونية التي يلتزم تأسيسها، أي أنها باختصار تهتم بالشروط البنوية لترقية الأفراد والمجتمعات، وبالإطار الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي للقرارات الفردية وهذا هو مجال الميكرو – أخلاقيات[1].

ب – مجالات البيوإتيقا:

إن مجال البيوإتيقا لا شديد الارتباط بموضوعه فهناك مفارقات غريبة داخل البنية المعرفية والمنهجية للبيوإتيقا فهي عودة لصلة بين العلم والأخلاق، وتجدر الإشارة إلى أن الأخلاق وأثناء هذا اللقاء الجديد لا تهتم بالحكم على صيرورة البحث العلمي وتوجيهه نحو ما ينبغي أن يكون بل أن الممارسة العلمية هي التي استوجبت السؤال الإتيقي داخل التطبيقات التقنية لذلك يكون موضوع حياة الأخلاق موضوع مغاير لما تم تأسيسه داخل حقل الفلسفة فإذا كانت الأخلاق تهتم بالإحاطة العقلية بالقاعدة

---

1 – عمر بوفتاس: البيوإتيقا نحو فكر أخلاقي جديد، مرجع سابق، ص . ص 5، 6.

الأخلاقية فإن البيوإتيقا سؤال مغاير يهتم بالمراقبة الأخلاقية لمسار العلمي في ممارسته الطبية البيولوجية بالنظر إلى التطبيقات التقنية التي استلزمها التطور العلمي عموماً، خاصة وأن الخطر الذي تسببت فيه التقنية على الحياة البشرية يبدو كبيراً في القرن العشرين إذ تمكنت الآلة من إحداث أزمات إنسانية[1]. تمثلت في الحروب الباردة وتلوث البيئة صار جلي للعيان وظهرت آثاره الوخيمة على صحة البشر [2]. ومع ذلك يمكن تقسيم مجالات البيواتيقا إلى ثلاث مجالات أساسية تنتج عنها ثلاث ميادين من التخصص وهي: أخلاقيات العيادة، وأخلاقيات البحث العلمي وأخلاقيات السياسة الصحية.

أ – أخلاقيات العيادة:

يبرز الباحث الأمريكي دافيد روي أن بعض النقاشات البيواتيقية الأولى كانت تدور حولة القضايا التي يصعب اتخاذ القرار بشأنها مثل الطفال حديثي الولادة المصابين بتشوهات خطيرة، والإبقاء على الوسائل الدعامة للحياة بالنسبة للذين يوجدون في حالة الغيبوبة، وإنعاش المرضى الذين وصلوا إلى مراحل متقدمة من المرض ويصعب التكهن بمآلهم، فهل يجب إنقاذ كل هؤلاء الأطفال المعاقين؟ و الإبقاء على حياة كل أولئك المرضى؟

إن الممارسة الطبية والممارسات الموازية لها تكشف عن حالات أخرى في العيادات الطبية يصعب أن يتخذ فيها القرار: فهل بإمكان أحد أعضاء طائفة شهود بهوه أن يرفض علاجاً قد ينقذ حياته؟ وكيف يمكن أن تحفظ الممرضة سر مريض مصاب بداء السيدا. وهل يمكن أن تقوم بتقييد مريض مزعج؟ وعلى العموم هل يجب

---

1 – بورغن هابرماس: من الحداثة إلى المعقولية التواصلية، تر: جميلة حنيفي، منشورات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، 2016، ص . ص 221، 222.

2 – ياسر محمد فاروق المنياوي: المسؤولية المدنية الناشئة عن التلوث البيئة، دار الجامعة الجديدة، (د، ط)، (د، س)، ص 57.

أن تبوح للمريض أو لعائلته بحقيقة مرضه؟ وما هو الموقف العام الذي يلزم اتخاذه اتجاه المرضى؟

تتعلق الأخلاقيات العيادية إذن بالتصرف الملائمة أخلاقياً التي يجب القيام بها بجانب سرير المريض وأهمها: المواقف التي يلزم اتخاذها والمعلومات التي يمكن الإدلاء بها، والحوار الذي يجب إجراؤه، والخلافات التي ينبغي حلها والقرار الذي يجب اتخاذه، ويحددها دافيدروي بهذا الشكل (ترتبط أخلاقيات العيادية بكل ما يواجه الأطباء والفرق الطبية من قرارات وشكوك واختلافات قيمية ومعضلات، وذلك سواء أمام سرير المرضى أو داخل غرفة العمليات أو في مكتب الاستشارة الطبية أو في العيادة أو حتى في منزل المريض) ،هكذا تخص أخلاقيات العيادة ثلاث أطراف أساسية المريض والطبيب والمجتمع: تتمحور أولاً حول المريض، فتهتم طبعاً بوضعيته الصحية والأمة ولكن أيضا بتاريخه الشخصي ووضعه العائلي ورغباته الشخصية، إن المريض هنا هو مركز التفكير والتدخل[1].

فالعلاقة بين الطبيب والمريض تمثل علاقة إنسانية بين طرفين حيث توجد حقوق وواجبات لكل طرف يجب الالتزام بها. ومن أجل الوصول إلى نتيجة ترضي كلاهما، لأن مهنة الطب مهنة شريفة ومقدسة، تبنى على أسس أخلاقية يتحلى بها الأطباء، كذلك يتحلى المرضى بمجموعة مختلفة من السلوكات الأخلاقية والاجتماعية والتي تكون أساس لقوام هذه العلاقة، وعلى اعتبار أن مكارم الأخلاق مطلوبة، وبدونها يتجرد الإنسان عن إنسانيته ويزداد الطلب عليها وتصبح من الضروريات الملحة حين يكون الحديث عن صفات الأطباء على اعتبار أن هذه الصفات تعتبر أساس قوام العلاقة بين الطبيب ومرضاه، ولعل سيد الأخلاق بالنسبة لطبيب هو الصدق، فالطبيب قبل كل شيء يجب أن يكون صادق فيما يقول وفيما يفعل، وصدقه يتعدى صدقه مع

1 – عمر بوفتاس: البيواتيقا، الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكتولوجيا، مرجع سابق، ص 28.

نفسه إلى الصدق مع أهله وأهمها الصدق مع مرضاه ومع جميع من يخاطبهم [1]، كما أن حق المريض على الطبيب أن يستمتع إلى كل شكاويه وأن يجيب على كل استفساراته، وكذا يشرح له طبيعة مرضه وعن أي إجراء تشخيصي وعلاجي سيقوم به، بالإضافة يجب على الطبيب القيام بمختلف التفسيرات المتعلقة بالمريض، وما يعاني منه ويشعر به، ويبين له طرق الوقاية والعلاج، مما يتطلب على الطبيب بذل كل ما في وسعه من أجل تخفيف الألم عنه، ومعتمداً على كل طرق الممكنة لأن واجبه يفرض عليه بذل ما في وسعه لعلاج المريض أما شفاؤه يخرج عن نطاق إمكانياته لأن الشفاء بيدي الله عز وجل ،وهذا الالتزام حسب ما جاء في آداب مهنة الطب في المادة 14.[2]

بما أن معاملته لهم تكون مشبعة بالعطف والحنان وأهم واجب له يبرز في التسوية بينهم في الرعاية، فلا يميز بينهم بسبب مركزهم الأدبي والاجتماعي هذا حسب ما نصت عليه المادة 12 من قانون الدستور الطبي [3]. وكذا يعمل على بذل قصار جهده لاختيار مدى وعي المريض بالمشاكل الصحية وعلاجها، وذلك حتى يتمكن من تقديم النصائح الضرورية[4]، بالإضافة إلى أن الطبيب المعالج يعمل على تنبيه المريض وأهله لاتخاذ أسباب الوقائية ويرشدهم إليها، ويحذر مما يترتب عن عدم مراعاتها [5]،

---

1 – محمد الحاج علي: سلوك الطبيب وأخلاقيات المهنة الطبية، ط1،دار الفضائل، الإمارات العربية، 1999، ص 12.

2 – محمد حسين منصور: المسؤولية الطبية، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، (د . ط)، (د . س)، ص 124.

3 – عبد المهدي بواعنة: إدارة المستشفيات الصحية، ط1،دار الحامد للنشر والتوزيع، 2003، ص 241.

4 – جون ويليامز : الأخلاقيات الطبية، تر، صالح بن عمار، الوحدة الأخلاقية لجمعية الطب العالمية، (د . ط)، (د . س)، ص 18.

5 – محمد حسين منصور: مسؤولية الطبية، ص 237.

كما عليه أن يحفظ ما يتحصل عليه من معلومات تخص مريضه، فالسرية عرفت منذ أبوقراط* وهو حجر الزاوية للأخلاقيات الطبية[1].

ويعتبر المريض حر حرية تامة في اختيار طبيبه، وهذا يتطلب من الطبيب احترام المريض وحقه في الاختيار، ويمثل هذا الاختيار الحر مبدأ أساسي في العلاقة بينهما وهذا حسب المادة 42 من واجبات الطبيب اتجاه المريض[2].

إن العلاقات الاجتماعية من مستلزمات الاستقرار والنمو في المؤسسات وخاصة المؤسسات الاستشفائية وتحقيق أهداف التنظيم، فلكل من الطبيب والممرض أدواراً يؤدونها، ورغم اختلاف هذه الأخيرة إلا أنها تتكامل في مجملها نتيجة طبيعة العلاقة التي تربطهما وهي علاقة تعاون تهدف إلى تحسين صحة المريض، وعلاقة الطبيب بالمريض يجب أن تكون ذات طابع إنساني لأن العناية الإنسانية للمريض تساعد إلى حد بعيد في شفائه، ومن أهم ما يميز عناية الممرضة بالمريض هو توفير الجو المريح له وبث الطمأنينة والراحة النفسية التي تساعده على تقبل العلاج[3].

ب – أخلاقيات البحث العلمي:

لقد أثارت التجارب العلمية على الجسد البشري قضايا متشعبة ومتشابكة حيث أننا مازلنا نفاجأ بين الجنس والآخر ،ونحن نسمع ونرى ونقرأ عبر وسائل الإعلام المختلفة، عن فضائح التجارب العلمية ،وكذلك عن بشاعة الآثار التي تظهر على الخاضعين لها من أفراد أو حتى مجتمعات [4]، فهذه الممارسات الطبية والعلمية الحديثة

---

1 – جون وليامز: الخلاقيات الطبية، ص 20.

2- code de deontelogie midical, décret exetif de 6 juillet 1992, p 06.

3 – فاطمة الزهراء براحيل: دور الطبيب والممرض في العلاج الطبي، قسم علم الاجتماع، جامعة باجي مختار عنابة، 2009، ص 202.

4 – مأمون عبد الكريم: رضا المريض عن الأعمال الطبية والجراحية، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، 2006، ص 706.

رغم ما تقدمه للإنسان من خدمات إلا أنها تنطوي على العديد من المخاوف التي تهدد المستقبل البشري، وهذا ما أظهر الحاجة الماسة لتنظيم مثل هذه الممارسات وسرع تدخل العديد من المشرعين، فظهرت قواعد أساسها المبادئ التي تضمنها علم أخلاقيات الطب وعلم الأحياء، تعالج جانباً أو أكثر من الممارسات الطبية أو العلمية الحديثة سميت بقانون أخلاقيات الطب وعلم الأحياء. فقد اهتمت القوانين المتعلقة بأخلاقيات الطب وعلم الأحياء بكل المستجدات العلمية والطبية التي يكون جسم الإنسان محلاً لها، موليه الاهتمام بعمليات نقل وزراعة الأعضاء وكل مكونات الجسم البشري من مشتقات ومنتجات، واضحة الضوابط والمعايير المميزة بين كل عناصر الجسم ومنتجاته[1].

وموضوع هذا الصنف من الأخلاقيات هو التفكير الأخلاقي في الأبحاث والتجارب التي تجعل من الإنسان وأعضاء جسمه موضوعاً لها، وقد تشكلت في أوروبا لجان خاصة بذلك كلجنة الأخلاقيات في فرنسا التي تأسست سنة 1974 جاءت بعد لجنة الوطنية الاستشارية لأخلاقيات علوم الحياة 1983 بموجب مرسوم حكومي لتتخذ طابع قانونياً يجعل كل طرف من المتدخلين يتحمل مسؤوليته ،وتبعث القرارات المتخذة في هذا الشأن، ويتزعم الاتجاه المؤيد لتجارب العلمية الاتجاه الفقه الأنجلوساكسوني وجانب من الفقه الإيطالي والفرنسي حيث يميل هذا الاتجاه إلى الاعتراف بمشروعية هذه التجارب في حفظ النفوس والعقول والأعضاء والأموال [2]. وأخلاقيات البحث العلمي تهتم

1 – محتال آمنة: التأطير القانوني للعمل الطبي على الجينوم البشري، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في القانون، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2016، ص . ص 80، 81.

2 – مفكرة الإسلام، الحدود الشرعية والأخلاقية للتجارب الطبية على الإنسان في الفقه الإسلامي، متاحة على الرابط

http: www.is/amonliine.netservlet.

– جان برنار: الطب في إنجازاته وإغراءاته، تر: بشير العظمة، (د. ط)، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ص 369.

ليس بالتنظير بل بمساءل ملموسة حيث تساءل عن شروط قبول التجارب العلمية من الناحية الأخلاقية وإن أي حد تحترم في ذلك والاتفاقيات والمرجعيات المتفق عليها وهل من المقبول إجراء التجارب على الإنسان وما هي حدود ذلك؟ لقد ساهمت أعمال كلود برنار في ازدهار علوم الطب وتطور الرؤية الطبية التي انفتحت على الداخل المتخفي لجسم الإنسان وبالتالي بلورة مفهوم جديد للإنسان، وذلك ضمن منطلقات عملية صارمة أي موضوع مفرغ من كل قداسة لأي ظاهرة أخرى، وعليه فقد أصبح الإنسان موضوعاً قابلاً للتقصي والقياس والاستكشاف العلمي وطرح جسمه على طاولة التشريح، ومع بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر اتسعت رقعة الطموح العلمي وتحولت عدة مشاريع علمية إلى تطبيقات جريئة وجديدة يمكن اعتبارها مشاريع ثورية أو بمثابة ثورة علمية [1].

ج – أخلاقيات السياسة الصحية:

كثير من القضايا والمشاكل الأخلاقية الخاصة التي تنبثق من الممارسة داخل المختبرات العلمية أو إلى جانب المرضى في العيادات الطبية، تتجاوز سياقها الخاص كي تؤثر في مجموعة المؤسسات والجهاز الصحي والحكومة، والمجتمع ككل في آخر المطاف، ذلك هو شأن الإجهاض والموت الرحيم على سبيل المثال، ويصدق الأمر أيضا على قضايا أخرى كتقنيات الإنجاب الحديثة والإصابة بالسيدا والفحوص الوراثية والعلاج الوراثي، بالإضافة إلى السياسات المرتبطة بالصحة العمومية وتخصيص الموارد. وتتخذ معالجة هذه المواضيع طابعاً استعجاليا في الوقت الذي تعاني فيه الدول المتقدمة من ندرة الموارد، إذ لم يعد بالإمكان الاستجابة لكل المطالب ولا توفير كل الحاجات، مما يفرض اختيار من سيحظون بسبق الاستفادة ومما يفرض البحث عن حلول المستعجلة أيضا، ما أتاحته بعض الاكتشافات العلمية والتقنية

1 – المرجع نفسه، ص 369.

للباحثين من قدرات جديدة يتحكمون بواسطتها في الأفراد وفي مستقبل البشرية. وهكذا تتعلق السياسة الصحية بمجموع القوانين والخطط التي تضعها مختلف السلطات، وتوجهها لمجموع السكان دون تمييز، أو مجموع القضايا المتعلقة بالصحة والتي تهم عامة الناس ويمكن أن نميز في إطارها بين ثلاث مستويات أساسية هي[1]:

1- الصحة العمومية:

تعرف الصحة العمومية بأنها مجموعة التدابير الوقائية والعلاجية والتربوية والاجتماعية التي تستهدف المحافظة على صحة الفرد والجماعة وتحسينها[2].

فالصحة العمومية تعد وقاية الجمهور من أخطار الأوبئة والقضاء على أسباب الأمراض المعدية ومكافحتها والغير المعدية المتفشية عن المجتمع والحد من الأخطار التي تهدد صحتهم وصحة الحيوانات والنباتات من الأخطار الناشئة في حالة دخول وانتشار الأوبئة والأمراض، أو الناتجة عن الملوثات أو الكائنات العضوية المسببة للأمراض، فإن الأخطار الناجمة عن بدء ظهور مرض خطير وانتشار أخطار العدوى[3].

2 - منظومة العلاج:

المقصود بها المبادئ الموجهة والتنظيم الفعلي للعلاج الصحي في منطقة ما.

3 - توزيع الموارد الصحية في منطقة أو بلد ما:

ويتضمن قطاع الموارد وتخصيصها من طرف السلطات العمومية وولوج المواطنين لهذه الموارد، أخلاقيات السياسة الصحية إذن، تفكير متعدد حول البعد

---

1 - عمر بوفتلس: البيواتيقا: نحو فكر أخلاقي جديد، مرجع سابق، ص 28.

2 - نور الدين حروش: الإدارة الصحية وفق نظام الجودة الشاملة، ط 1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، 2012، ص 70.

3 - محمد جمال: مطلق الذنيبات: الوجيز في القانون الإداري، ط 1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، 2003، ص 170.

الأخلاقي لكل القضايا التي تهم مجموعة المواطنين والتساؤلات التي يطرحونها في إطار الصحة مثل حق المواطنين في معرفة التنظيمات التي تخص هذا المجال، ومدى احترام حرية وكرامة الأفراد في حملات الإشهار للتدخين والسيدا على سبيل المثال، ومدى التزام مبادئ العدالة والمساواة في ولوج مراكز العلاج الصحي[1].

إن كل ما يحدث على مستوى العيادات والمؤسسات الصحية وتطبيق أخلاقيات البحث العلمي الخاص لتؤثر بصورة مباشرة أو غير مباشرة في مجموع المؤسسات والجهاز الصحي والحكومي بل وفي المجتمع ككل لاسيما فيما يتعلق بقضايا هامة وحرجة[2]، كالتحكم في عملية الإخصاب والإنجاب وتسير الاستفادة من خدمات بنوك البويضات والحيوانات المنوية، حيث تم فك الارتباط بين الجنس والأمومة فالكثير من المفاهيم التي تقوم عليها الأسرة تغيرت كما أصبح اليوم بالإمكان الحديث عن فك دقائق الجينوم البشري ووضع خارطة شبه نهائية له بالإضافة إلى الموت الرحيم والإجهاض واستئجار الأرحام والإصابات بالسيدا...إلخ.

إذ يتوجب معالجة هذه المواضيع بصورة إستعجالية أمام عجز كبير حتى بالنسبة لدولة متقدمة في توفير موارد إذ لم يكن بالإمكان الاستجابة لكل المطالب ولا توفير كل الحاجيات وهنا يستوجب وضع سلم قيم الأولويات لاختيار من سيحضون بسبق الاستفادة[3].

---

1 – عمار بوفتاس: مرجع سابق، ص . ص 32، 33.

2 – المرجع السابق، ص، ص، 34، 35.

3 – مصطفى كيحل: الأخلاقيات التطبيقية، المفهوم، الدلالة، الحقول، إصدار الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، 2010، ص . ص 23، 24.

الفصل الثاني:

موقف فوكوياما من التقنيات الحيوية

المبحث الأول:

فوكوياما والبيوتكنولوجـــــيا

أ: حياته ومساره

ب: البيوتكنولوجيا والبيوإتيقا وآثارها على الإنسان

المبحث الثاني:

البيوتكنولوجيا ومجالاتـــــها

أ. الهندسة الوراثية

ب. الاستنساخ

تمهيـــــــــــــــــــد:

إذا كانت التكنولوجيا تصعب من عملية الحفاظ على التقاليد المجتمعية قديمة للمجتمع، سيسعي الجنس البشري تلقائيا للخروج بمنظومة أعراف وتقاليد جديدة للتناسب مع مصالحهم الأساسية، فهناك العديد من المناقشات حول مكانة التقنية في حياة الإنسان، حيث أصبحت تعامله كما لو أنه مجموعة ثابتة من القواعد، هذا كله دفع ببروز شخصية عالجت هذا التقدم التقني والتكنولوجي، على حياة الإنسان، وأثر التقنيات الحيوية على جسمه، فوكوياما يتساءل عن الإنسان الجديد الذي ستخلقه هذه التقيات. ومنه: **ما موقف فوكوياما من هذه التقنيات الحيوية؟.**

المبحث الأول– فوكوياما والبيوتكنولوجيا:

أ – حياته ومساره:

هو يوشهرو فرانسيس فوكوياما (yoshihiro francis fukuyama)، مفكر أمريكي من أصل ياباني ولد في 27 أكتوبر 1952، في الولايات المتحدة الأمريكية، يعتبر من أكبر فلاسفة الاجتماع في أمريكا، يعمل أستاذ اقتصاد سياسي في جامعة جوترهوبكنز (johns hopkins).[1]

لقد بدأ حياته العلمية والعملية بعد حصوله على درجة الدكتوراه في الفلسفة ، والعلوم السياسية في جامعة هارفارد، وعمل في الثمانينات في وزارة الخارجية الأمريكية كنائب لمدير إدارة التخطيط السياسي ، ولكنه بعدها ركز على الكتابة والعمل الأكاديمي، إلا أن ذلك لم يمنعه عن العمل السياسي وعين في المجلس الاستشاري لإدارة الرئيس السابق جورج بوش الابن[2].

وتتمحور أطروحات فوكوياما حول قضايا سياسية والتنمية مثل : "**نهاية التاريخ والإنسان الأخير**" التي نشرها في مجلة ناشيونال أفيرز عام 1989 قبل أن يتوسع فيها ويؤلف الكتاب، وهي من أشهر أطروحاته والتي جادل فيها بأن التطور التاريخ البشري كصراع بين الإيديولوجيا انتهى إلى حد كبير مع استقرار العالم على الديمقراطية الليبرالية بعد الحرب الباردة، وسقوط جدار برلين عام 1989، وتوقع فوكوياما انتصار

---

1 – فرانسيس فوكوياما: مستقبلنا ما بعد البشري، عواقب ثورة التقنية الحيوية، مصدر سابق، ص 308.

2 – يحي سعيد قاعود: أطروحات فوكوياما وهينتغتون والنظام العالمي الجديد (دراسة تحليلية مقارنة)، رسالة مقدمة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العلوم السياسية بجامعة الأزهر، 2014، ص 65.

الليبرالية السياسية والاقتصادية في نهاية المطاف [1]، كما أن فوكوياما ألف كتب حول الفضائل الاجتماعية ، وتحقيق الازدهار فقد صدر كتاب الثقة: الفضائل الاجتماعية وتحقيق الازدهار عام 1995 يشرح فيه نظرية الاقتصادية الحديثة 80 % من الأحداث الاقتصادية، والباقي يعتمد على دور الدولة والتنظيم الاجتماعي للمجتمع، ويقول أيضا في هذا الكتاب بأن البنية الفكرية والاجتماعية في غالب المجتمعات الغربية مالت لتهميش المجالات الاجتماعية والأنثربولوجية* للاقتصاد، كما أن الاقتصاد بحد ذاته لا يمكنه تفسير لماذا بعض المجتمعات أكثر ازدهار من غيرها، بالإضافة إلى كتب ثقافية مثل : "**كتاب الطبيعة البشرية وإعادة بناء النظام الاجتماعي**" صدر هذا الكتاب عام 1999، وشرح في هذا الكتاب كيفية تحول المجتمعات سواء الولايات المتحدة ، أو غيرها إلى ما يسمى بمجتمع المعلومات أو عصر المعلومات، أو عصر ما بعد الصناعي، كما أصدر كتاب "**أمريكا على مفترق طرق**" ويتحدث فيه عن السلطة وميراث المحافظين الجدد عام 2006 ويتمحور أيضاً حول السياسة الولايات المتحدة الخارجية منذ أحداث 11 سبتمبر يعد هذا الكتاب أحد أكثر كتب فوكوياما شخصية بسبب إرثه الشخصي كأحد المحافظين الجدد سابقاً، [2] بالإضافة إلى مؤلفه "**مستقبلنا ما بعد بشرى: عواقب الثورة التقنية الحيوية** "، أصدره عام 2002، وفيه يجادل بأن التكنولوجيا الحيوية تسمح للبشر بسيطرة على تطوره

---

1 – فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، تر: حسين أحمد أمين، ط 1، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1993، ص . ص 8، 9.

*** – الأنثربولوجيا هي دراسة الجماعات البشرية الفطرية أو التي تزال أقرب إلى فطره من حيث الأنثربولوجيا الفيزيقية (إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص 24.**

2 – فرانسيس فوكوياما: أمريكا على مفترق الطرق، تر: محمد محمود التوبه، ط 1، مكتبة العبيكان، الولايات المتحدة الأمريكية، ص . ص 8، 9.

الطبيعي، وقد تسمح بتعديل طبيعة الإنسان وهو ما يعرض الديمقراطية للخطر.

ووصف فوكوياما البعد الإنساني بأنه من أخطر الأفكار في العالم [1]، فالبعد الإنساني موجود ضمنيا في كثير من جداول أعمال البحوث البيولوجية المعاصرة، فالتكنولوجيات الجديدة الناشئة من مختبرات الأبحاث ، والمستشفيات، سواء عقاقير تغير المزاج أو مواد زيادة كتلة العضلات، عقاقير محو الذاكرة الانتقائية، الفحص الجيني قبل الولادة، يمكن بسهولة أن تستخدم لتعزيز القدرات البيولوجية للبشر ، والتخفيف حدة الأمراض ، التي يعاني منها الجنس البشري على اعتبار أنه جنس ضعيف، فالإنسان يعيش حياة قصيرة، والمحظوظ من يعيش مئة سنة، المستمر، فمشاريع البعد الإنساني تبدو منطقية وجذابة، ولكن فوكوياما لديه نظرة مختلفة يجادل بأن المجتمعات قد لا تقع فريسة سهلة لنظرة دعاة بعد الإنسانية ، ولكنهم قد يقعون في شراكها دون إدراك، نظراً للمغريات البيولوجية التي يقدمونها بثمن أخلاقي فادح[2].

ب – مساره الفكري:

من بين أكثر الخصائص رواجاً لدى المجتمع الإنساني، ميله إلى التغيير باستمرار، وهذا الميل هو الذي جعله يتطور فهو يتغير في كل شيء، وفي الأفكار، السياسة، الاقتصاد، التربية، الثقافة وغيرها من مجالات الحياة، ولكن هذه التغيرات منها ما يحدث بشكل بسيط وخفي، بحيث لا تكاد يؤثر على المسار الحياتي للناس، بينما تغيرات أخرى قد يكون لها وقع قوي وتأثير واضح على أفكار النّاس ومعتقداتهم واهتماماتهم وعلاقتهم وأساليب حياتهم.

1– فرانسيس فوكوياما: عواقب الثورة التقنية، مصدر سابق ص 247.

2 – فرانسيس فوكوياما: تلخيص بالعربية (القسم الأول والثاني) لكتاب فرانسيس فوكوياما، الدبلوماسي، 2006، ص 5.

ومن هذه التغيرات القوية التي مست الديانات السماوية والوضعية، وكذلك المذاهب، والأنظمة السياسية ، كالاشتراكية، والشيوعية، والرأسمالية التي كان لها تأثير قوي على أفكار النّاس وسلوكاتهم على مستوى المجتمعات البشرية طيلة عقود من الزمن[1]، ومسايرة لحتمية التغيير هذه، ظهر في السنوات الأخيرة مفهوم جديد يشغل النّاس ويستحوذ على أفكارهم واتجاهاتهم، فمنذ ظهور كتاب فرانسيس فوكوياما المعنون " **بنهاية التاريخ** " صيف عام 1989 والذي تنبأ فيه بنهاية الإيديولوجيا [*]، ونهاية التاريخ، والتي أصبحت العولمة فيه تشغل اهتمام كثير من المثقفين ، والمفكرين السياسيين، والاقتصاديين بمجرد ظهورها على مسار الفكر الإنساني، فأصبحت أكثر تداولاً على نطاق عالمي واسع، لأنها في الأساس تعتبر حركة أمريكية أوروبية، أي أن الغرب هو الذي وضع شروط كما حدد مكوناتها، فهو الطرف الفعال فيها والمؤثر في حركتها وتوجهها، وهي كظاهرة عالمية تتداخل فيها القضايا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، بمعنى أن الدخول تحت تأثيرها يترتب عليه إلغاء الحدود السياسية للدول ذات السيادة وأنظمتها وتشريعاتها[2].

وعلى هذا الأساس فإن إزالة الحدود السياسية ، والقيود الدينية، والخصوصيات الثقافية، يعني أن الأشخاص لا تكون لديهم تلك الخصوصيات المتعلقة بدينهم وأوطانهم فيفقدون بالتالي هويتهم وانتماءهم، والآن هذه الحركات أيضا ذات طابع اقتصادي، وسياسي ، وثقافي ، تنقل فيه رؤوس الأموال والسلع إلى تقنيات الإنتاج والإعلام، هذا الانتقال سيتبعه انتقال حتمي لقيم وعادات وتقاليد الثقافات الغربية

---

1 – عبد الوهاب المسيري: العولمة الشاملة والعلمانية الجزئية، م 1، ط 1، دار الشروق، القاهرة، 2002، ص 147.

*** – الإيديولوجيا هي علم الأفكار وموضوعه دراسة الأفكار والمعاني وخصائصها وقوانينها وعلاقتها بالعلامات التي تعبر عنها، والبحث عن أصولها بوجه خاص (إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1983، ص 29).**

2 – المرجع السابق، ص 147.

والأمريكية بخاصة الإلغاء الخصوصيات الثقافية ذات الطابع الديني والأخلاقي بخاصة[1].

وبعد سقوط جدار برلين في نوفمبر 1989، ونهاية الحرب الباردة كتب فوكوياما مقالاً في مجلة المصلحة الوطنية عام 1989. أيضا يتساءل فيه عن نهاية التاريخ؟ ويرصد فيه أهم الأحداث السياسية للقرن العشرين ، بعد هزيمة الفاشية في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، وأخيراً سقوط الشيوعية، مضيفاً إلى ذلك أنه قد تشكل الديمقراطية والليبرالية نقطة النهاية في التطور الإيديولوجي للإنسانية، والصورة النهائية للنظام السياسي في دول العالم.

وقد أجاب فوكوياما عن **سؤال : هل هي نهاية التاريخ؟** في أطروحته "**نهاية التاريخ والإنسان الأخير**" ، بحيث يعود لتاريخ الأفكار السياسية والنظريات التاريخية عند كل من كانط، هيغل، ماركس، ونيتشه ، لتبرير نظرياته الفكرية في كتابه " نهاية التاريخ والإنسان الأخير" الذي يعتبر أطروحة كاملة لمستقبل العالم الجديد ، الذي تسيره التقنية وتتدخل فيه البيوتكنولوجيات[*] الجديدة، التي تتيح للبشر بتزايد قدرتهم على التحكم في تطورهم، وتتيح أيضا تبديل الطبيعة البشرية، فهي تعتبر كحركة فكرية جديدة تدعو إلى ما بعد الإنسان[2].

---

1 – ناهد البقصمي: الهندسة الوراثية والأخلاق، مرجع سابق، ص . ص 61، 63.

*** – البيوتكنولوجيا: يشير هذا المصطلح إلى كل تقنية تهدف إلى استغلال وتوظيف البيانات الدقيقة المجهرية كالخلايا الحيوانية أو نباتية وكل مكوناتها كالأنزيمات من أجل إنتاج ماهو أنفع للإنسان (أنظر مذكرة تخرج فرنسوا داغوني، لعمري حربوش، مرجع سابق، ص 148).**

2 – عبد الحسن الصالح: التنبؤ العلمي ومستقبل الإنسان، عالم المعرفة، 1981، ص 113.

بفعل استخدام هذه التقنيات الحيوية على الجسد البشري والنظريات التي توصلت إليها العلوم البيولوجية *، بخاصة في علم الأعصاب والدماغ (علم البيولوجيا العصبية) ، الذي يؤثر على طبيعة الإنسان وعلى خلاياه ومورثاته الدماغية والعصبية، إضافة إلى تأثير العقاقير الطبية على الجسد البشري، والتي تتحكم أيضا في سلوك الإنسان.

ويستشرف فوكوياما من خلال مقولته بنهاية التاريخ ، وظهور الإنسان الأخير، أو فكرة ما بعد الإنسانية ، أن الإنسان كما نعرفه اليوم سوف يختفي حتماً بعد سنوات قليلة إذا استمرت البيوتكنولوجيات على حالها، فعلم الوراثة أصبح يتدخل في طبيعته وحتى في تركيبته الداخلية، وبدلاً من الإنسان الحالي سيظهر فعلاً إنسان جديد أكثر سعادة وثقة وذكاء وأقل مرضاً وأطول عمراً، لتتغير الأنطولوجيات ،* إلى مرحلة جديدة هي ما بعد الإنسان أو مرحلة ما بعد إنسانية الإنسان [1].

فبالنظر إلى التطورات التكنولوجية المتسارعة في الأبحاث العلمية ، والمجال البيو- طبي والتي هي عبارة عن ثروة بيولوجية، والتي تتطلب إعادة النظر في مفهوم الإنسان، فهل هو عبارة عن ثروة بيولوجية، والتي تتطلب إعادة النظر في تحديد مفهوم الإنسان، فهل هو عبارة عن ذلك الجسد فقط سواء من الرؤية الديكارتية التي تراه مجرد جثة خاضعة للتجارب العلمية، أم أنه مجرد آلة على حد تغيير كلورد برنارد، وهنا يقسم

*** - البيولوجيا: هي علم الأحياء مفردة ابتكرها لامارك، ينتقدها داغوني ويعتبرها قاصرة على إدراك حقيقة الكائن الحي لأنها تحاول إخضاعه لنفس المنهج الذي تخضع له المادة الجامدة (انظر فرانسوا داغوني: مرجع سابق ص 149).**

*** - الانطولوجيا: هي أحد بحوث الفلسفة الرئيسية الثلاث وهو يشمل النظر في الوجود بإطلاق، مجردا من كل تعيين أو تحديد، وهو عند أرسطو علم الموجود بما هو موجود، وبهذا سمي بمبحث الميتافيزيقا وترك البحث في الوجود من نواحيه المختلفة العلوم الطبيعية والرياضية والإنسانية (انظر المعجم الفلسفي إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1983، ص 26).**

1 - سمية بيدوح: فلسفة الجسد، دار التنوير للطباعة والنشر، 2009، ص . ص 5، 6.

الإنسان إلى قسمين على اعتباره جسدا كموضوع أو نحاول أن نراه في تكامل وحدة أي بين الروح والجسد أي وحدة النفسي والجسدي في مفهوم واحد للإنسان.[1]

ب – البيوتكنولوجيا والبيوإتيقا وآثارها على الإنسان:

كثيرون يموتون متأخرين جداً ، وقليلون يموتون مبكرين جداً ، كما يقال : "**مت في الوقت المناسب**" هكذا علمنا زرادشت، من هذه المقولة يبدأ علمنا فقد أصبحت التقنية هي المسيطرة، فقد انجر عنها تغيير كبير في ظروف حياتنا حيث أصبح الإنسان قادراً من الآن فصاعداً على كل شيء تقريباً، والتقبل التقني هو العامل الأول في التطور البشري الذي جعل الإنسان ينتقل من الحياة البدائية إلى الحياة أو عالم القنبلة النووية إلى عالم الانترنيت ثم الاستنساخ[2].

وهكذا كلما ازدادت معرفة الإنسان ، وتجاربه ودراساته على مر الزمان ، كلما تمكنت التكنولوجيا الحيوية من الاستفادة أكثر بما يوجد في البيئة ، وبالتالي تخدم الصناعات المتعددة والمتجددة ، والتي لم تعد تعتمد فقط على نشاط الكائنات الحية الدقيقة فقط كوسائط، ولكن أصبحت تعتمد فقط على نشاط وسائط حيوية أخرى [3]، مثل الخلايا والأنسجة النباتية والحيوانية، بل وخلايا مأخوذة من أجنة حيوانية، والإنزيمات والهرمونات والفيروسات كحاملة للجينات...الخ، وذلك كله بمساعدة وتداخل العديد من العلوم، مثل: علوم الوراثة والمناعة وبيولوجيا الخلية والجزء والكيمياء الحيوية وهندسة العمليات، والحاسوب واكتشاف أسرار المادة الوراثية بنواة الخلية، وبإتحاد كل هذه

---

1 – عمر زرقاوي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، مجلة الرافد، دار الثقافية والإعلام، العدد 56، أكتوبر 2013، ص .ص 19، 20.

2 – إبراهيم أحمد: إشكالية الوجود عند مارتن هايدغر، ط 1، الدار العربية للعلوم منشورات الاختلاف، الجزائر، 2006، ص . ص 21، 22.

3 – صفاء أحمد شاهين: جولات في عالم البيوتكنولوجيا، دار التقوى للنشر والتوزيع، (د . ت)، ص 5.

العلوم يصبح لدينا عالم التكنولوجيا الحيوية " **البيوتكنولوجي". فما المقصود بهذا المصطلح؟ وما هي آثاره على الإنسان؟**

إذا تناولنا الترجمة الحرفية لهذا المصطلح أو الكلمة، نجد التقنية الحيوية هي: ترجمة مصطلح أي استخدام تطبيقات التقنية الحديثة في معالجة الكائنات الحية، كما يقصد أيضا بالبيوتكنولوجيا التكنولوجيا الحيوية أو التقنية الحيوية أو التقنية الحيوية [1].

وأيضا تتكون من كلمتين (Bio) تعني حياة و (Technologie) تعني تطبيق العلم[2].

فالبيوتكنولوجيا هي تطبيق المعلومات المتعلقة بالمنظومات الحية، بهدف استعمال هذه المنظومات أو مكوناتها في الأغراض الصناعية أي أنها تقنية مستندة على علم الأحياء، خصوصاً عندما ستعمل في علم الزراعة والطب.

فالتكنولوجيا الحيوية (البيوتكنولوجيا) ، هو علم تطبيق المعلومات الوراثية الموجودة في الكائنات الحية من أجل تحقيق أقصى استفادة في المجالات الزراعية، الصيدلانية، البيئة الطبية والصناعية، وذلك باستخدام الكائنات الحية والخلايا والجزيئات الوراثية في إنتاج المنتجات الهامة لتحسين المستوى الاقتصادي[3]، وهذا المجال هو عبارة عن دمج العلوم البيولوجية والكيمياء وتكنولوجيا التصنيع، والتي تهدف إلى استخدام الكائنات الحية ، والخلايا والجزيئات لتصنيع وإعداد المواد الخام لحيوية الوراثية من أجل إنتاج منتجات هامة لخدمة النّاس والبيئة.

---

1 – المرجع نفسه، ص . ص 5، 6.

2 – مسعد مسعد شتوي: التطبيقات الحديثة للبيوتكنولوجيا في الزراعة، مجلة أسبوط للدراسات البيئية، العدد الثلاثون، يناير 2006، ص 25.

3 – لائحة برنامج الماجستير في مجال البيوتكنولوجيا، من خلال برنامج ال التابع للاتحاد الأوروبي بالتعاون مع وزارة التعليم العالي، مشروع رقم 543865 tempus -1-2013-eg-tempus-jpcr

فالتكنولوجيا هي الوسط بين العلم والتقنية ،* وعلى اعتبار أن البيوتكنولوجيا مجالها الحياة العضوية، فإن المصطلح يدل على التطبيقات التقنية على المادة الحية ، أو التدخل البدوي على الجسم الحي ، مثل: زرع الأعضاء، الاستنساخ، التلقيح الاصطناعي، الموت الرحيم، زرع الجنين...الخ . ومن هنا نقول أن التقنية لها آثار الإنسان سواء من الجانب الإيجابي أم السلبي، فالتقنية اهتمت في مجملها بالعلوم الطبيعية والفيزيائية مع الافتقار إلى التوازن بينهما وبين الاهتمام بالعلوم الإنسانية، وهناك مشاكل معينة قد خلقتها هذه التقنية إذ لم نقل مجموعة كبيرة من المشاكل... [1]، وتعتبر أهم مشكلة هي مشكلة الوراثة والتحكم في جينات الإنسان ، لأنها تبدو في نظرنا شيء مخيفاً إذ تصورناها في إطار النظم السائدة اليوم في العالم، وبطبيعة الحال فإن جميع هذه المشاكل قد لا تتعلق فقط بتغيير هذا الوجود برمته كانطولوجيا*، وإنما تتعلق كذلك بعدة مخلوقات أخرى تحيى وفقاً لهذا الوجود وبالدرجة الأولى، لكن أول من يتضرر أو يستفيد من هذه التقنية هو ذلك الإنسان الذي يسعى دائماً إلى أن يخطو خطوة إلى الأمام حتى ولو كان ذلك على حساب من يحيا معهم[2].

*** – التقنية هي جملة المبادئ أو الوسائل التي تعين على إنجاز شيء أو تحقيق غاية وتقوم على أسس علمية دقيقة (إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي (د . ط)، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1983، ص 53).**

1 – فؤاد زكريا: التفكير العلمي، ط 1، منشورات ذات السلاسل، الكويت، 1985، ص 281.

*** – الانطولوجيا: علم الوجود أو الانطولوجيا هو قسم من الفلسفة، يبحث في الوجود بإطلاق مجرد عن كل تعيين أو تحديد وهو عند أرسطو علم الوجود بما هو موجود وبهذا يسمّى بمبحث الميتافيزيقا العام، ويترك البحث في الوجود من نواحيه المختلفة للعلوم الطبيعية والرياضية والإنسانية.**

2 – إبراهيم أحمد: إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هايدغر، مرجع سابق، ص . ص 129، 130.

فقد أصبحت التقنية مثل الطوفان الذي يجرف كل ما يلقاه، فلقد نزعت من الإنسان آدميته وأغرقته في أوحال الاغتراب وجعلت منه دمية بين أنياب الآلات ومخالبها[1].

لقد أصبح الإنسان أيسر التقنية العلمية ، خاصة في مجال الطب فقد استطاع الإنسان من تغيير الإنسان ، لهذا يقول "جون برنار" الإنسان بإمكانه أن يغير الإنسان ذاته، كما يمكن له تغيير أعضاء جسمه مثل يجعل الإنسان يعيش بكلية ، أو نخاع عظمي، وفي بعض الأحيان بقلب شخص آخر.[2]

فقد أثارت مشكلة زرع الأعضاء ، ونقلها مشكلة اعتبار الإنسان كيساً من الأعضاء، وهو ما يجرده من وحدته وبجزئه ويفرغه من كل دلالة، فلم يعد الإنسان كما كان في القديم، فالتقنية جعلت منه شيء من أشياء المعرفة ، وغرض من أغراض التجربة العلمية[3].

ومن جهتها تؤكد "جاكلين روس" أن التنبؤات هي مثقلة بالأخطار للإنسان ، وبقدر ما تزيد من قدراته بشكل كبير فهي تثير مخاوفه ، لأنه أصبح هو فاعل تقنياته وموضوعها معاً، أي أن هذه التقنيات بعدما ساهمت في تحرير الإنسان فهي تسير في طريق تقوده إلى التحرر من الإنسان ذاته[4].

---

1 – حسن مصدق: يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت النظرية النقدية التواصلية، ط 1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ص 98.

2 – سمية بيدوح: الجسد في ظل التطورات العلمية الراهنة، الأخلاقيات التطبيقية والرهانات المعاصرة للفكر الفلسفي، إصدارات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، 2016، ص 50.

3 – روجيه الجاويش: الأخلاقيات في الطب، مدخل إلى مقارنة فلسفة، ط 1، نوفل، بيروت، لبنان، 2008، ص 7.

4 – جاكلين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر،مرجع سابق ،ص 17.

وهذا ما جعل "هايدغر" يرفض وبشدة التقنية المعاصرة التي لا تهتم إلا بالجانب الإستعمالي النفعي مضحية ومهملة للكائن أو الوجود[1].

إن هدف فوكوياما هو إثبات الخطر الذي يهدد البشرية ، وهو خطر التقني الحيوي المعاصر، ومن المحتمل جداً أن تقوم هذه التقنية بتغيير الطبيعة البشرية، وبالتالي انتقلت إلى مرحلة ما بعد البشري من التاريخ ، ولأن كون الطبيعة البشرية موجودة بالفعل كمفهوم ذي مغزى، وكان قد وفر استمرارية ثابتة لتجربتنا كنوع حي، لذا فإن التقنية تتمتع بقدرة من القوة يكفي لإعادة تشكيل ما نحن عليه بالفعل فسيكون لها تأثيرات ضارة محتملة على الديمقراطية الليبرالية وعلى الطبيعة السياسية ذاتها.[2]

وعلى كل حال فالجنس البشري ماهو إلا عملية تطورية مستمرة منذ ملايين السنين، سيتواصل في المستقبل إذا أوتيت أي قدر من الحظ، فليست هناك خصائص بشرية ثابتة باستثناء قدرتنا العامة على اختيار ما نود أن نكونه، وعلى تعديل أنفسنا وفقاً لرغباتنا ، فيوماً بعد يوم تتزايد هذه الحركات والأصوات التي تنتمي إلى حركة جديدة مسماة "**بما بعد الإنسانية**"، فهذا التقدم في علوم الحياة بصفة خاصة يعتبر أهم الظواهر التي برزت في القرن العشرين، فهو يمثل انتصار لذكاء الإنسانية، ويشكل في الوقت نفسه تحدياً كبيراً لحياة البشرية نفسها ، والواقع أن الإنجازات المتقدمة التي حققتها علوم الحياة وتطور التكنولوجيا في مجال الطب وفي مجال علم الوراثة، يشكل تهديداً لحياة الإنسان، بل لمفهوم الكائن الحي نفسه[3].

---

1 – زهية العايب: الأخلاق الجديدة لمستقبل الإنسانية والطبيعة عند هانس يوناس ،الماجستير، قسنطينة، 2010 ،ص 28.

2 – فرانسيس فوكوياما: مستقبلنا ما بعد البشري، عواقب ثورة التقنية الحيوية، ترجمة إيهاب عبد الرحيم محمد، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2006، ص 308.

3 – جيلالي بوبكر: فلسفة العولمة وبيانها النظري، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 7، 2011، ص 23.

إن التطورات الكشفية والتجريبية والتقنية في العلوم البيولوجية ، أفرزت نزاعات أيديولوجية عديدة قادها مفكرون وعلماء وساسة ، كانت متفقة في عمومها على تحكم العنصر العرقي الوراثي والجيني في مصادر وأساليب ومنتجات التقدم والتحضير ، نتيجة التطورات التقنية في البحوث العلمية البيولوجية الجينية من نتائج ، هو أن تقنيات التصرف في الجينات، وما توفره من فرص وإمكانات تحسن النوع البشري، تحمل خطراً ليس على التوازنات المجتمعية والأخلاقية فحسب ، وإنما تقوده إلى ماهو أخطر أي ظاهرة استبعاد جديدة للبشر بتحويلهم من مادة قابلة للتكيف والتصرف أي تحويل العلم من مشروع السيطرة على الطبيعة إلى مشروع السيطرة على الإنسان[1].

فقد أصبحت هذه الإيديولوجيات حسب فوكوياما تحدد من جهة في نتائج الثورة العلمية (المعلوماتية والاتصالية) التي ستفرض خيار العولمة، ومن جهة التقنيات البيولوجية التي ستنشئ الإنسان الأسمى الجديد، وهذا ما عبر عنه فوكوياما "**بما بعد الإنسان**"، فما بعد الإنسان لا يفهم هنا بالمعنى البيولوجي بل بالمعنى الأنطولوجي، من حيث أنه لا يشير إلى كائن من نوع جديد بقدر ما يشير إلى شكل إنساني جديد[2].

فهذه التطورات التي تحققت في مجال التقنية الحيوية ، أدت إلى خلق فجوات واسعة في النظام الحالي، لتنظيم الطب الحيوي البشري من جهة أنها تكون سلاحاً ذو حدين في كثير من جوانبه ، فمن جهة هي إيجابية من زاوية علاج الأمراض الفتاكة ، وسلبية من زاوية اعتماد الجسد البشري أرضية خصبة للتجارب العلمية [3]، ولكن هذا لا يمنع حظر استعمال الجسد البشري في التجارب واستعماله كأداة، ومن هنا نشأ هذا الفكر الأداتي، والتفكير ذو البعد الواحد كما يسميه "ماركيز" المؤمن بالتماثل بين

---

1 - نفس المرجع، ص 1.

2 - عبد الوهاب المسيري: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، ط 2، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 2007، ص 106.

3 - فرانسيس فوكوياما: مستقبلنا ما بعد البشري، عواقب ثورة التقنية الحيوية، مصدر سابق، ص 247.

الأشياء والظواهر، فما يصدق على ظاهرة يصدق على غيرها من الأشياء والظواهر المختلفة، فالمهم في الأشياء والظواهر ليس قيمتها الإستعمالية، بل ما تحققه من منفعة فالمعرفة العلمية التي سخرت لفهم الطبيعة والتحكم فيها ثم استخدامها أيضا للتحكم في الإنسان بمعنى أن منطق النظام الذي تصوره الإنسان للسيطرة على الطبيعة ثم نقله بالكامل للتحكم بالأفراد والجماعات[1].

ومثلها أجبرت التقنية الطبيعة ، على كشف مكوناتها وأسرارها، فقد حولت الإنسان إلى شيء باهت لا حياة فيه، بدلاً من السيطرة على الإنسان نفسه أو السيطرة على الطبيعة عبر السيطرة على الإنسان، وارتباط المعرفة بالسيطرة والقوة ، لا يطال الطبيعة والعلوم الطبيعية وحدها بل يطال الإنسان، فمع هيمنة الأداتية مات الإنسان الغربي بخاصة مرتين: موت رمزي لصالح البني (الرياضية والاقتصادية) ونشأ وأضحى سلعة تتقاذفها قوانين التبادل السلعي وبلغت حد الاستلاب في عالم القنبلة والتكنولوجيا، وموت آخر فعلي في ممارسة[2] التقنية على الكائنات البشرية والطبيعية أو العالم[3].

كما يتحدث فوكوياما عن التحدي الذي تطرحه التقنية اليوم ، وهو الإتحاد بين الطبيب والتقنية ضد الإنسان بخاصة، ولذا فوجب على الدول تنظيم التقنية وتطويرها واستخدامها سياسياً لحماية وتعزيز الازدهار البشري، وليس لأغراض ضد البشرية، وإنشاء مؤسسات تقوم بالتمييز بين التطورات التقنية التي تعزز الازدهار البشري وبين تلك التي تمثل تهديداً للكرامة البشرية، لقد أفرز الجدل حول التقنية الحيوية اليوم

1 – حسن مصدق: يورغن هابرماس، ص 36.

2 – عمر زرقاوي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، مرجع سابق، ص . ص 40، 41.

3 – المرجع نفسه، ص 41.

معسكرين أو اتجاهين: الأول : مؤيد لمذهب الطبيعة البشرية ، والثاني : الذي نادي بمخاوف أخلاقية إزاء التقنية الحيوية، ونادي بضرورة الكرامة للجسد البشري[1].

وقد كان الفيلسوف "جيلبير هوتوا" في حوار العلاقة بين البيوإتيقا والتقنو– علمي ، فكانت إجابته إذا كنت قد أدرجت مفهوم التقنو علمي ، فذلك لأنني أرى أن العلم، البحوث العلمية والبحوث التقنية غير منفصلة عن بعضها، وعليه تطرح المسائل العلمية التي هي من طبيعة وأهمية أخلاقية وسياسة، ليس هناك بالتأكيد تعارض بين مفهوم القضايا العلمية التقنية من ناحية وأخلاقيات علم الأحياء من ناحية أخرى، ثم أنني أعتقد أن التقنو– علمية تحتل مكانة مركزية في العالم اليوم وفي المستقبل وأعتقد أنه يتوجب على الفلسفة أن تهتم بالتقنو– علميات، من وجهات النظر المختلفة سواء المعرفية الأنطولوجية[2]، الأخلاقية أو السياسية بالنسبة إليّ فإن مفهوم التقنو – علمي أضحى مركزياً، ومن الطبيعي أن تعتني الفلسفة المعاصرة بالقضايا التقنو– علمية في جميع أبعادها، وفي تصوري فإن البيوإتيقا هي فصل في كل هذا فقد كثرت الدراسات في مجال الأخلاقيات البيولوجية ، فالبيو إتيقا هي موجز لكل أصناف المشاكل المطروحة سواء المتعلقة بالعولمة أو بتطور التقنيات...إلخ[3].

فهو من خلال قوله يريد أن يثبت بأن التقدم التقنو– علمي هو حلم كل إنسانية، ومهما كان لهذا التقدم من مخاطر ينبغي الحذر منها ، ولكن لا تتوقف بل تستمر في الحلم والإنجاز، لأن التوقف يعني الموت.

---

1 – فرانسيس فوكوياما: مستقبلنا بعد بشري، عواقب ثورة التقنية، مصدر سابق، ص . ص 224، 225.

2 – محمد جديدي: الفلسفة البيوإتيقا والحضارة التقنو– عملية، مجلة دراسات فلسفية، العدد 3، 2014، ص ص 241، 242.

3 – المرجع نفسه، ص 242.

يمكن إجمال مفهوم البيوتكنولوجيا من خلال ما سبق وما استعرضناه، في أنها القدرة على استخدام المعارف المختلفة، والمتعلقة بالكائنات الحية، والاستفادة بكل المهارات والابتكارات في كافة المجالات، ودراستها جيداً على أسس علمية بهدف تطبيقها على الكائنات الحية ، أو مشتقاتها للاستحداث أو للتعديل من أداء الكائن الحي، لما يخدم هذا الكائن الحي ويخدم البيئة وبخاصة الإنسان ، وكلما ازداد استيعاب الشعوب للتكنولوجيا الحيوية كلما ازداد وتحسن مستواها الاجتماعي والاقتصادي [1]، وعلى هذا الأساس أو المفهوم الذي تقدم سنجد أن مجالات البيوتكنولوجيا الحيوية عديدة ومتشبعة بدرجة كبيرة جداً. **فما هي هذه المجالات وما أثارها على الإنسان؟.**

1 – صفاء أحمد شاهين: جولات في عالم البيوتكنولوجيا، مرجع سابق، ص . ص 6، 7.

المبحث الثاني– البيوتكنولوجيا ومجالاتها:

لم يعد ما تسعى إليه البشرية قاصراً فقط على توفير السلع ، والخدمات وتقديمها في أحسن شكل في عالم يتزايد فيه عدد السكان ، وتتدنى أحوال موارده الطبيعية عام بعد عام، بل ثورة علمية * هائلة، تفوقت على الثورات العلمية السابقة في مجالات متعددة مثل الطب، وخاصة التقنيات المتعلقة بهذا المجال مثل تقنية إطالة الحياة والهندسة الوراثية والاستنساخ.

- **تقنية إطالة الحياة:**

تعاني المجتمعات الغربية حالياً من تضخم مستمر لفئة الشيوخ، بحيث أصبحت فئة الذين تفوق أعمارهم ستين سنة تتجاوز نسبة الثلث فيها، مما دفعها إلى البحث عن حلول للمشاكل الصحية والاجتماعية والأخلاقية التي تواجه هذه الفئة، وابتكار وسائل متطورة تمكن الذين يتجاوزون العقد السادس من أن يعيشوا سعداء، يستفيدون من العلاج والعناية الطبية اللازمة، بالإضافة إلى التخفيف من آلامهم ومعاناتهم والقيام بكل ما يلزم من أجل أن يعيشوا في ظل الكرامة والاحترام الكاملين[1]، وهذا ما جعل بعض الباحثين في علم الشيخوخة يكتشفون أسرار الشيخوخة ويفكون ألغاز إهتراء وتقهقر الآلة البيولوجية البشرية، ويرجع الفضل في ذلك أساساً إلى ما تحقق في مجال فك رموز الوراثة البشرية.

---

* – ج م علم كما هو في الحضارة الغربية قد حصر نفسه في دراسة العالم المحسوس الذي يخضع أو يمكن أن يخضع للتجارب والمشاهدة وتبع ذلك أنه أصبح لا يعتمد إلا على الواقع الذي تدركه الحواس، وأصبح ينبذ كل ما لا يخضع للتجارب والملاحظة والمشاهدة، وينظر إلى العقائد الغبية باعتبارها أوهاماً فالثورة العلمية هي انقلاب على كل ماهو قديم لا يخضع لتجربة والعقل (عبد الفتاح عبد الله بركة: أخلاقيات العلم وأزمة الحضارة الحديثة، مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان، (د ت)، ص 4).

1 – عمر بوفتاس: البيوإتيقا، الأخلاقيات الجديد في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا،مرجع سابق، ص 153.

ومن هذه التقنيات التي يتحدث عنها فوكوياما هي تقنية إطالة الحياة [1] حيث يقول في كتابه "**مستقبلنا ما بعد بشري**"، أن السبيل الذي ستؤثر به التقنية الحيوية المعاصرة على السياسة، في إطالة الحياة وما يتبع ذلك من تغيرات ديمغرافية واجتماعية، فقد تحدث عن الحقائق العلمية والطبيعية البشرية، والنتائج الناجمة عن استخدام غير منتظم للعقاقير [*]، والاستنساخ في فترات القادمة، رغم القلق والتشاؤم الذي يبديه فوكوياما حول المصير المجهول الذي ينظر للجنس البشري، إلا أنه يتفاءل في نهاية ويؤكد على حتمية انتصار هذا الجنس، على جميع الكوارث الطبيعية التي تعترض مسار حياته في الحاضر والمستقبل ، ويستشهد فوكوياما في ذلك على قدرة الإنسان تاريخياً، على تحقيق التجاوزات والمحن التي تواجهه في مسيرته الطبيعية ، لأننا أصبحنا الآن في مرحلة ما بعد الإنسان، أي الإنسان الاصطناعي الذي يستمر ويعيش بالعقاقير الطبية، والتعديلات الوراثية ، وهي مرحلة تنطوي على الكثير من المخاطر التي يتم فيها نظم العلم بشكل شرعي وإيجابي. كان من أعظم إنجازات الطب بالولايات المتحدة الأمريكية في القرن العشرين، ارتفاع العمر عند الولادة بالنسبة للرجال والنساء وأنتج هذا التحول إنخفاظ مفاجئاً في معدلات المواليد في معظم دول العالم المتقدم مثلاً في عام ألفين وخمسين يبدو العالم مختلفاً بشكل جوهري عما عليه اليوم [2]، وحتى ولو فشل الطب الحيوي في رفع العمر المتوقع ولو لسنة واحدة طوال هذه الفترة، وثمة

---

1 – نفس المرجع، ص 153.

*** – هي ج م عقار وهو أي مادة إذا أخذت داخل البدن أحدثت تغييراً، وقتياً أو دائماً في الوظائف الفسيولوجية أو الأحاسيس أو السلوك أو ما سوء استخدام العقاقير فهو تعاطي العقاقير إلى المدى الذي يصبح فيه العقار هدفاً في حد ذاته فيحل مكان البدائل السلوكية الأخرى وبذلك يصبح الفرد غير مسؤول عن تصرفاته بل العقار هو السيد المهيمن (سعيد محمد االحفار: البيولوجيا ومصير الإنسان، سلسلة عالم المعرفة، مجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، ص 74).**

2 – فرانسيس فوكوياما: مستقبلنا ما بعد بشري، عواقب ثورة التقنية، مصدر سابق، ص . ص 79، 81.

احتمال ضئيل لعدم حدوث أي فتوحات جوهرية في مجال إطالة الحياة، خلال هذه الفترة، كما أن هناك تكهّنات في أن تؤدي التقنية الحيوية إلى تغيرات مهمة للغاية.

فالمدينة مثلاً تتطلب أن يكون لكل إنسان الحق في أن يتوقع أن يمتد به العمر لفترة معقولة من دون جوع أو مرض [1]، ولكن الوفاء حتى بجزء من هذا التوقع أدى إلى نمو سكاني سريع يهدد بعدم تلبية المطلب نفسه الذي كان سبباً لهذا النمو.

فالشيخوخة هي مرحلة من مراحل الإنسان ، وهي المرحلة التي تكثر فيها الآلام والأمراض، وتتلف فيها الأعضاء، الأمر الذي جعل المفكرين القدامى يسعون جاهدين للحفاظ على الشباب الدائم بواسطة مختلف الوسائل، ومع تطور العلم والتكنولوجيا ازداد الاهتمام بهذه المرحلة من جوانب أخرى [2]، أما اهتمام الأطباء بهذه المرحلة كان منصب حول محاولة إيجاد حلول لتأخير عملية الشيخوخة ، والقضاء على مختلف الأمراض المستعصية التي تصيب المسنين ، وذلك بتوفير تقنيات ووسائل أو طرق تسمح لهم بالعيش لمدة أطول مع الحفاظ على صحتهم الجسمية والعقلية.

إن إطالة العمر في الحقيقة هي طول فترة الحياة، والتي تعني زيادة في طول الفترة التي يعيشها الإنسان [3]، فهذه الفترة هي عمل روتيني ، لأن طب إطالة العمر سيؤجل الشيخوخة ، ويعزز الصحة فيمكن النّاس من أن يكونوا أكثر نشاطاً وإنتاجية ويتمتعون بحياة أطول، فوضع خريطة للحمض النووي الريبي، منقوص الأكسوجين (ADN)، وربط هذه المعرفة بالوقاية من المرض، وبهذا يغير الطب جذرياً مما يجعله تنبؤياً بشكل واضح، لأن علاجات إطالة الحياة، ابتداء من الأمصال الجينية مروراً

---

1 – ماكس بيروني: ضرورة العلم، ترجمة وائل أتاسي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1990، ص 14.

2 – رشيد سواكر، عيسى تواتي إبراهيم: النمو النفسي الاجتماعي وحاجات المسنين في ضوء نظرية اريكسون، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، العدد 11 جوان 2015، ص 12.

3 – فرانسيس فوكوياما: مستقبلنا ما بعد البشري، عواقب ثورة التقنية، مصدر سابق، ص 88.

بجراحة (ADN) وصولاً للأدوية والأجهزة العصبية لتزيد من صحة وتحسين الذكاء وتزايد الجمال إلى الحد الأقصى.

لقد كان حلم الإنسان طوال تاريخه على الأرض ، البحث عن إكسير الحياة، فلم يكن الإنسان يتمنى أن يجد عقاراً يجعله يعيش خالداً أبداً فهذا قدر لم يكتب للإنسان... لكن حلم البشرية كان في البحث عن عقار أو إكسير يجعل الإنسان يعيش شاباً ما شاء له المولى أن يعيش وأن يحيا... [1] وكانت هناك محاولات لم تنقطع يوماً ولن تنقطع سعياً وراء تحقيق هذا الحلم، لكن العلم مع ذلك لم يعلن إفلاسه ، أو يكتب شهادة يأسه وإحباطه ، بل تدافعت فروع العلم والطب توفر للإنسان صوراً شتى من الجراحة، وعلوم التغذية والرياضة والطب الطبيعي وغير ذلك، تعمل كلها على تأخير ملامح الشيخوخة.

وإيماناً بهذا الهدف أفرد الطب فرعاً مستقلاً اختص بعلم الشيخوخة... واهتم هذا العلم ببحث الظواهر التي تطرأ على الإنسان عند تقدم عمره ومضاعفات ما يلحق به من تغيرات [2]، ثم كيف يمكن المحافظة على صحة الأنسجة والأعضاء حتى آخر يوم في عمر الإنسان ، إلا أن ذلك تنجم عنه عدة مشاكل سواء من الناحية الاجتماعية، أو الأخلاقية أو السياسية ، فكل ذلك له آثار على حياة الإنسانية. **فكيف تؤثر تقنية إطالة الحياة على الإنسان؟ وما هي آثارها على الحياة الاجتماعية والأخلاقية والسياسية؟**

على اعتبار أن العلم سلاح ذو حدين، إيجابي وسلبي فقد استطاعت تقنية إطالة الحياة من تمكين الأشخاص من العيش لحياة أطول دون أمراض، ولا حتى آلام، وهذا

---

1 – سامي محمود: لا للشيخوخة المبكرة، ط 1، الدار المصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1993، ص 8.

2 – المرجع نفسه، ص 8.

الشيء وصل إليه العلم عن طريق الخلايا الجذعية [*]، فهي الخلايا الأصلية التي تتصف بنشاطها الانقسامي المتجدد في شروط الحيوية الطبيعية، والتي توجد في المراحل الأولى من التشكيل الجيني للفقرات ومنها الثدييات والإنسان[1].

وقد وجدت في عدد كبير من النسيج والأعضاء في مراحل الاكتمال حتى البلوغ، والتي تعتبر الملهم الأول في تقنية طب إطالة العمر خاصة الجينية منها ، لأنها قادرة على علاج جميع الأمراض المستعصية كما أن هذه التقنية تقنياً من مشاكل عديدة مثل الموت الرحيم والانتحار وغيرها من الطرق التي تسهل الموت بغية التخلص من آلام المرض.

ولعل أكثر تأثير الإطالة العمر من الناحية الاجتماعية والاقتصادية، هو مسألة العمل أو توفير مناصب عمل لجميع الأفراد وما نلاحظه عن إطالة الحياة، هو التنافس على مناصب العمل بين الشيوخ والشباب [2]، وإن أهم أهداف إطالة الحياة هو إطالة الأداء الوظيفي، للأشخاص المنتخبين والمبدعين، الذين يتمتعون بالخبرة الطويلة والحيوية لتطبيق معارفهم في ميدان العمل لحل مشاكل المجتمع الاقتصادية، العلمية، الاجتماعية.

فمعظم المجتمعات تعتمد في تركيبها على تسلسلات هرمية ، فمن خلال التنافس على مناصب الشغل بين كل الفئات، فلا يمكن الفصل في هذا الموضوع إلا

*** – الخلايا الجذعية هي الخلايا الأصلية المولدة التي تتصف بنشاطها الانقسامي المتجدد في الشروط الحيوية الطبيعية، والتي توجد في المراحل الأولى من التشكيل الجيني للفقاريات ومنها الثدييات والإنسان، وقد وجدت في عدد كبير من النسيج والأعضاء في مراحل الاكتمال حتى البلوغ (تيرينس آلن وجراهام كاولينج: الخلية مقدمة قصيرة جداً تر مصطفى محمد فؤاد، ط 1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2015، ص 98).**

1 – دانيل كيفلس ولوروي هود: الشفرة الوراثية للإنسان، القضايا العلمية والاجتماعية لمشروع الجينوم البشري، تر أحمد مستجير، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1997، ص 402.

2 – فيليب ميلر: ثورة إطالة الأعمار، العلم الأحداث لبلوغ سن متقدمة بدون شيخوخة، تر حسان أحمد، ط 1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، 2006، ص 407.

بتحديد سن التقاعد الإجباري لأنه يتطلب اتخاذ أحكام شخصية لتقييم قدرات المسن، فتكون القوانين الوضعية هي الحكم الفاصل في الموضوع، لأنه إذا ارفعنا في سن التقاعد المعتاد ستواجهنا مشاكل عديدة.

فهذا التنافس على مناصب العمل خلق صراعات بين فئة الشباب والشيوخ، لأن فئة الشيوخ لديها الخبرة الكافية فهي سوف تتغلب على فئة الشباب بالضرورة، وهذا ما يزيد في نسبة البطالة في المجتمع فهذه المشكلة عانت منها البشرية كثيراً[1].

رغم أن لكل شخص الحق في العمل إذا ما توفرت فيه الشروط، وقد نص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في المادة ستة وعشرون على أن: " **كل شخص الحق في العمل، وله الحرية في اختياره بشروط عادلة ومرضية ، كما أن له حق الحماية من البطالة**"[2].

أما من الناحية الأخلاقية قد تزايدت الأبحاث في الخلايا الج ذعية كثيراً وبخاصة في القرن العشرين ، والذي أُعتمد كأسلوب جديد في العلاج لأنه فعال جداً ويمكنه تخليص الإنسان من الكثير من الأمراض المستعصية، وفي الوقت نفسه تعالت الأصوات تندد بالعلاج بالخلايا الجذعية لما لها من آثار غير أخلاقية[3].

وقد نادي "**أبوقراط**" بحفظ الحياة منذ القدم وهو ما نجده في قسمه الشهير أنه يجب على الطبيب المحافظة على الحياة البشرية واحترامها وفي هذا يقول "فرانسوا جاكوب" إن الحياة موجودة أيضاً في خلايا التناسل قبل التلقيح فالحياة للتلقيح والجنين

1 - فرانسيس فوكوياما: مستقبلنا بعد بشري، عواقب الثورة التقنية، مصدر سابق، ص 88.

2 - الإعلان العالمي لحقوق الإنسان 1984، المادة 23.. www.un.ovg على الموقع

3 - عمر بوفتاس: البيوإتيقا الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا، ص 127.

ليس إلا أداة عبور لحياة قادمة، فالحياة حق طبيعي لا يمكن لأحد مهما كانت صفته التعدي عليه بشتى الطرق، نادت به جميع الأديان والشرائع والأعراف والقوانين [1].

وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل أن للحياة قدسية نعترف بها وتحترمها جميع الأديان، والشرائع والأعراف [2]، فيمتنع منعاً باتاً إهانتها ، إهدارها، أو المساس بها عن طريق التجارب، كما ينبغي الحفاظ على كرامة الإنسان في جميع مراحل حياته.

كما نادت حقوق الإنسان بالحفاظ واحترام الكرامة الإنسانية، وهذا جاء في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان **"لا يتعرض أي إنسان لتعذيب ولا للعقوبات أو المعاملات القاصية الوحشية والإطاحة بالكرامة الإنسانية "** [3].

فالإنسان مقدس لا يمكن لأي كان المساس به. فوكوياما يقول أن تقنية إطالة الحياة أثارت مشاكل كبيرة في المجال السياسي ، أين أصبح هناك نوع من التشبث بالسلطة والسيطرة في مجتمعات تعاني من الشيخوخة الزائدة ، فطغيان الشيوخ على فئة الشباب ينتج عنه خلل في التسلسلات الهرمية، بتتابع الأجيال في الأنظمة الاستبدادية على حد تعبير فوكوياما ، هذا ما يخلق نوع من الدكتاتورية من الشيوخ على الشباب ، وخاصة في مجال السياسة والحكم، فإذا كان هذا الشيخ هو رئيس الدولة فمن السخف أن ينتظر مجتمع وفاة ذلك الدكتاتور الذي يحكمه ليعرف كم من السنوات وهو تحت إمرته [4]، فتنجم عنها عواقب ضارة وذلك لاستطالة تتابع الأجيال في الأنظمة الاستبدادية التي لا توجد بها متطلبات دستورية تحدد فترة البقاء في الحكم مادام

---

1 – روجيه الجاويش: الأخلاقيات في الطب، مدخل إلى مقارنة فلسفية، ط 1، نوفل بيروت، لبنان، 2008، ص 94.

2 – جوزيف معلوف: المسألة الأخلاقية في العلوم الطبية، مكتبة العولمية، لبنان، 2005، ص 106.

3 – الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، المادة 05، المرجع السابق.

4 – فرانسيس فوكوياما: مستقبلنا بعد بشري، عواقب الثورة التقنية الحيوية، مصدر سابق، ص 89.

الدكتاتور مازال حياً، فليس هناك طريق أمام مجتمعاتهم لاستبدالهم وهنا تتعطل جميع التغيرات السياسية.

إن مهمة الطب هي مهمة مقدسة مفادها أن تقهر المرض، وإطالة الحياة على فعل جيد ولكن النّاس يساورهم القلق أيضاً بشأن أن يعيشوا لمدة أطول، ذلك فالإنسان لا يرغب فقط في العيش بل أيضا عدم تدهور ملكاته المختلفة.

أ-الهندسة الوراثية:

الهندسة الوراثية هي تغيير يقوم به الإنسان في المادة الوراثية للكائنات الحية ولم يعرف الإنسان هذا إلا مع اكتشاف قوانين مندل *، للوراثة حيث توصل إلى قانون دراسة توارث الصفات، حيث بين العلماء أن العوامل الوراثية السائدة والمتنحية أو "**الجينات**"، كما أثبتوا أيضاً أن الجينات توجد على الكروموزومات ، تلك الكا ئنات الدقيقة خيطية الشكل موجودة داخل نواة الخلية ، كما اكتشفوا فيما بعد الكثير من التفصيلات الوراثية المندلية [1]، فالممارسات في البيولوجيا والطب الإكلينيكي، يعتبر مشروع الطاقم الوراثي البشري أول مبادرة بيولوجية كبرى اتخذت من تطوير التكنولوجيا واحدة من أهدافها، ولابد أيضاً من تطور تقنيات لسلسلة الدنا (ADN)[2]، أسرع مائة مرة أو ألف مرة مما هو متاح حالياً قبل أن نشرع جدياً في مهمة سلسلة الجينوم البشري كله.

*** - الراهب النمساوي غريغور يوهان مندل هو أب علم الوراثة، ويعود إليه الفضل في وضع أسسها عبر أول تحليلات إحصائية منظمة وسليمة أجراها على نتائج تجاربه في نباتات البازلاء في حديقة الدير الذي كان يقطنه وفي 1965 وفرت هذه التجارب أول أدلة قاطعة بشأن وحدات الوراثة التي سماها عوامل factors وتسمى اليوم مورثات (جينات) مع العلم أنه لم يعرف لا المورثات ولا الصبغيات التي تحملها (أنظر: قانون مندل الأول والثاني والاحتمالات: نوف البامي) .**

1 - روجيه جاويش: الأخلاقيات في الطب مدخل إلى مقارنة فلسفية، مرجع سابق، ص 17.

2 - كيفلس وليروي هود: الشفرة الوراثية للإنسان القضايا العلمية والاجتماعية لمشروع الجينوم البشري، ترجمة أحمد مستجير، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1990، ص 146.

فهي ليست مجرد ثورة تقنية في قدرتنا على إزالة تشفيرة dna، بل ثورة في علم الأحياء الذي يشكل أساس هذه الثورة و تعتمد هذه الثورة العلمية على المكتشفات والتطورات الحادثة، في عديد من المجالات ذات العلاقة بجانب الأحياء الجزئية بما فيها العلوم العصبية الإدراكية والوراثية السكانية وعلم النفس والأنثروبولوجيا، والأحياء التطورية، وعلم الأدوية العصبية، ولجميع مجالات التقدم العلمي هذه مضامين سياسية كامنة لأنها تعزز معرفتنا بالدماغ، مصدر جميع السلوكات البشرية وبالتالي قدرتنا على منابلته[1].

إن **الهندسة الوراثية** [*] مرتبطة بمجموعة من التجارب العلمية التي ظهرت حديثاً في مجال البيولوجيا، وهي التحكم بالجينات، والاستنساخ الحيوي وإعادة تركيب ال (د ن أ) ، أي إبعاد تركيب الحمض الربي النووي المنقوص الأكسجين الذي يحمل الصفات الوراثية للإنسان، وهي مجموع من العمليات التي تدور في المختبرات في الوقت الحاضر، وتثير الرعب في المجتمع، إن هذا الحمض بمثابة الرسوم أو التصميمات الهندسية التي توجه عملية إنتاج البروتينات وهي المواد الأساسية للحياة.

فحمض (DNA) يتركب بطريقة تجعله قادراً على أن يحمل في طياته نوعاً من الشفرة، فإذا لم يتكون البروتين لسبب ما وفقاً للتصميم المحدد، فإن الكائن الحي يصاب بمرض بسيط أو خطير [2].

---

1 – فرانسيس فوكوياما: مستقبلنا ما بعد بشري، عواقب ثورة التقنية الحيوية، مصدر سابق، ص 32.

*** – الهندسة الوراثية: ظهرت مع بداية سبعينيات القرن الماضي، كما تطرقنا في حديثنا عن تاريخ الخلية، بالتحديد في سنة 1973 عندما تمت أولى عمليات كلونه الحامض النووي معدوم الأكسجين في جامعة ستانفورد الأمريكية (أنظر: مكرم ضياء شكارة: علم الخلية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2000، ص 23).**

2 – ناهد البقصمي: الهندسة الوراثية والأخلاق، مرجع سابق، ص 82.

لهذا فمن حق كل مطلع على منجزات الثورة البيولوجية عامة، وهندسة الوراثة أو هندسة الجينات خاصة، **أن يتساءل ماهو مدى النتائج التي يمكن أن يبلغها هذا التدخل في الوراثة البشرية، وفي تطوره البيولوجي؟**

فكل المنجزات الجديدة في علوم الحياة ، قد تؤدي إلى تفكيك التكوين العائلي الحالي وذلك بفعل التغييرات المتعلقة بوسائل الإنجاب، ويمكن تناول في هذا الصّدد نماذج مثلا: فالإنجاب ينفصل تماماً عن الجنس، وثمة احتمال كبير في القسم الباقي من القرن العشرين، سيتمكن علماء الأحياء فيه من وضع أجنة متعددة متطابقة في كل شيء، تشكل جينية من شخص معين، وبالفعل فقد استخدمت الوسائل الضرورية لهذه العملية على الضفادع، ويجري تطبيقها على الفئران[1].

والأجنة الناتجة كما أشرنا يمكن له إعطاؤها لسيدات يتم تأجيرهن لحملها. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل ستقوم الدولة بتربية الأطفال هؤلاء؟ وهل يكون هذا الأسلوب الذي خلفته هندسة الوراثة بديلاً للأسرة؟ هل سيوزع هؤلاء الأطفال على العائلات مختلفة لتربيتهم لمعرفة تأثير البيئات الاجتماعية المختلفة على أطفال يكونون متطابقين وراثياً؟. هل سيستخدم الوالدان هذه الطريقة لإنجاب أطفال يكونون طبق الأصل من كل منهما؟. ما تأثيرات كل ذلك على تطلعات الوالدين بالنسبة لأطفالهم وعلى إحساس الطفل بذاتية شخصيته؟[2]

وحسب تقرير مصلحة الصحة والخدمات الإنسانية في الو م أ . فإن ما يزيد على خمسة عشر مليون أمريكي يعانون من عيب خلقي ، أو أكثر عند الميلاد، ويعتقد أن ثمانين في المائة من هذه الحالات يرجع إلى تغيرات وراثية ، كما يرجع خمسون في

---

1 – سعيد محمد الحفار: البيولوجيا ومصير الإنسان، سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1984، ص.ص 95، 96.

2 – المرجع نفسه، ص 96.

المائة من حالات الإجهاض إلى عوامل وراثية، وكذا أربعين في المائة على الأقل من حالات وفيات الأطفال، ثلاثين في المائة من كل حالات دخول الأطفال للمستشفى تنجم بطريقة مباشرة عن عيوب وراثية، بينما تصل النسبة بين البالغين إلى عشرة في المائة فقط. كما أمكن حتى الآن التعرف على ما يقرب من ثلاثة آلاف مرض وراثي وأمكن تصنيفها، كما يقدر عدد سنوات الحياة الضائعة بسبب هذه الأمراض بستة أضعاف ونصف ضعف ما يضيع بسبب مرض القلب وغيره، فمن كل ذلك يتضح أن الأمراض الوراثية هي الآن بصفة عامة أحد أكبر المشاكل الصحية[1].

فكل هذه التطورات تظل في مجال واسع وكبير جداً في الأبحاث والدراسات العلمية، وبخاصة بعد تداخل علم الأحياء مع باقي العلوم الأخرى إلا أنها تبقى الخطوة الأولى التي بدأها علماء البيولوجيا في التطوير المعاصر للبحوث في علم الوراثة ، والهندسة الوراثية بخاصة ولأن الهندسة الوراثية تعتبر ممن أهم الثروات العلمية التي كانت بارزة في القرن العشرين وذلك من خلال التقنيات المختلفة التي تساعد على الكشف عن كثير من المعلومات التي تتعلق بالمورثات وطريقة تغيرها، سواء عن استنساخها أو نقلها أو تعديلها أو تحويرها وراثياً[2].

إن انبثاق تقنيات جديدة في مجال الطب الحيوي والهندسة الوراثية التي تسعى إلى تحسين مختلف أنماط حياة الإنسان والتي تجلت في إنجازات علماء الهندسة الوراثية في القرن العشرين فحملوا على اكتشاف أسرار الوراثة ، وفك رموزها لمعرفة التركيب الوراثي للكائنات الحية.

---

1 – زولت هارسنياي، ريتشاردهنون: التنبؤ الوراثي، ترجمة مصطفى إبراهيم فهمي: عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988، ص . ص 46، 47.

2 – دانبيل كيفلس وليروي هود: الشفرة الوراثية للإنسان، ص 400.

يقول فوكوياما إن التقنيات الحيوية الثورية ، أي الهندسة الوراثية، تستخدم في الوقت الحاضر عادة في مجال التقنية الحيوية الزراعي لإنتاج كائنات معدلة وراثياً[1].

إلا أن التقدم في مجال التقنية الحيوية سيمثل في القريب العاجل تطبيقاً فعلياً على البشر، فتثير الهندسة البشرية مباشرة احتمال ظهور شكل جديد من اليوجينيا مع كل ما شحنت به هذه الكلمة من مضامين أخلاقية ، ثم في النهاية القدرة على تغيير الطبيعة البشرية ذاتها.

هكذا أدى التقدم الهائل الذي طال ميادين علوم الحياة على التحكم في الجسم والإنجاب والجهاز العصبي والوراثة البشرية، وبذلك فتح أمام الإنسان في الوقت الراهن آفاقاً واعدة على مستوى الحفاظ على الصحة، وقهر المرض والاستمتاع بالحياة مدة أطول[2]، ولكنه في المقابل جعل المجتمعات البشرية تواجه وضعيات غير مسبوقة وطرح عليها إشكاليات جديدة ووضعها أمام اختيارات صعبة.

ب- الاستنساخ:

1 تعريف الاستنساخ لغة:

من نسخ، نسخا الشيء: أزاله / أبطله[3].

والنسخ: إبطال الشيء وإقامة مقامه كما في قوله تعالى : ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها تأت بخير منها أومثلها﴾[4].

1 - فرانسيس فوكوياما: مستقبلنا ما بعد بشري، عواقب الثورة التقنية الحيوية، مصدر سابق، ص 98.

2 - عمر بوفتاس: البوإتيقا، مرجع سابق، ص 214.

3 - المنجد في اللغة والإعلام: دار المشرق، بيروت، ط 1، 2005، ص 805.

4 - سورة البقرة، الآية 106.

فالنسل (ج) أنسال: الخلق / الولد والذرية [1] كما في قوله تعالى : ﴿ وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل﴾[2].

أما النسيلة: فهي الولد[3].

2 **الاستنساخ اصطلاحا:**

تستخدم الكلمة نسيلة (clone)، في عدد من الأطر المختلفة في البحث البيولوجي، ولكنها في معناها الأكثر بساطة ودقة تشير إلى: نسخة وراثية صحيح لجزء أو خلية أو نبات أو حيوان أو كائن بشري ، وفي بعض السياقات تشير كلمة استنساخ إلى تقنيات معينة، لمدة طويلة من الزمن جزء من المهنة الزراعية وتشكل اليوم جزءاً هاماً من أسس البحث البيولوجي الحديث[4].

ويذهب أحد المفكرين المعاصرين إلى القول بأن الاستنساخ هو كائن حي مطابق تماماً من حيث الخصائص الوراثية والفيزيولوجية والشكلية لكائن حي آخر.

كما أن الثورة العلمية المعاصرة البشرية التحقت بما ليس في الحسبان في عالم الحيوان والنبات، ويتوقع أن تؤدي بما تحمله من تقنية عالية إلى نتائج وثورة في المعرفة قد تقلب الموازين وخاصة في عالم التكاثر البشري. والعلم اليوم لا تحده حدود، ولا يتقيد بالقيم، وهو ينطلق في كل المجالات دون أن تحجّر عليه القوانين الوضعية أو التقاليد أو القيم الدينية أو الأخلاقية [5]، إن هذه العملية تثير مجموعة من المخاوف

---

1 – **المنجد في اللغة والإعلام: مرجع سابق، ص 806.**

2 – **سورة البقرة، الآية 205.**

3 – **المنجد في اللغة والإعلام: مرجع سابق، ص 806.**

4 – **مفتاح سليم سعد: الاستنساخ ويشتبه به، ج 2، مركز الإعلام الأمني، البحرين، 2010، ص،60.**

5 – **محمد الهواري: الاستنساخ البشري بين الثورة العلمية والضوابط الأخلاقية والفقهية، المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث.**

المرتبطة بقضايا أخلاقية تمس الوجود الإنساني، مثل مفهوم العائلة والعاطفة، والاستقلال والهوية...وغيرها. وقد يقول قائل إننا حين نصل إلى عصر كهذا فإن القيم التي تتحدث عنها لن يعود لها وجود.

أو سوف تستبدل بغيرها، ولذلك ليس ثمة ما يدعو لمناقشتها بمعنى أنه من الخطأ أن نناقش المستقبل في ضوء القيم والاعتقادات الحالية، ولكن يمكن الرد على ذلك بالقول إننا لا نناقش المستقبل من خلال منظور الحاضر، وإنما نحن نحاول أن نتخيل، ما هي القيم التي يمكن أن تتأثر بتطور كهذا، أما تلك القيم فهي: إلغاء مفهوم العائلة والأمومة كذلك الصفوة المختارة حيث أن الدولة هي التي تتحكم في المورثات أي تفرض معياراً معيناً يتم على أساسه اختيار الصفوة المختارة، فبسبب سيطرة هذه التكنولوجيا سيطرة كاملة على حرية الإنسان وعدم احترامها لإنسانيته وهذا ما يخافه الكثيرون[1].

فالتقنية الأخرى التي يرجح أن تتضج قبل الهندسة الوراثية البشرية ، بوقت طويل فهي تقنية الاستنساخ البشري، فقد أثار العالمين روبيرت بريجس وتوماس كنج وللمرة الأولى في تاريخ البيولوجيا بالتأكيد من إمكانية نقل نواة خلية جسدية متحصل عليها من شرغوف في بويضة منزوعة النواة، حيث لا حظنا بعد هذه العملية بأن الخلية تنمو كما تنمو الخلايا الأخرى طبيعياً.

وفي نفس العام يتمكن العلماء من إنتاج أول عجل من سائل منوي مجمد ، وفي عام 1962 استطاع العالم الأمريكي جود جوردن أن يستنسخ أجنة الضفادع، لكن الأجنة ماتت في أطوارها الجينية ، ولم تصل إلى الطور البالغ ، وبعدها نجحت عدة

1 – ناهدة البقصمي: الهندسة الوراثية والأخلاق، مرجع سابق، ص. ص 212، 213.

عمليات الاستنساخ [1]، أما في عام 1978 فقد نجح العلماء في إحداث إخصاب البويضة خارج الرحم، وميلاد أول طفل بطريقة أطفال الأنابيب. أما في عام بعد هذا النجاح، تمكن عالم الأجنة الأمريكي كارل المنسي من نزع نواة بويضة فأرة ووضعها في بويضة فأرة أخرى بعد تفريغ هذه الأخيرة من نواتها ثم تتابعت الانقسامات الجينية حتى تكوّن جنين حي وتعتبر هذه التقنية الأساس العلمي الذي اعتمد في تقنية استنساخ النعجة دولي ثم التأسيس في بريطانيا أول بنك للنطاف في العالم، وفي 1983 تولت امرأة لأول مرة قبول حضانة جنين امرأة أخرى في رحمها، و حتى ولادته بنجاح[2]، وفي عام 1997 تم استنساخ النعجة دولي من طرف إيان ويلموت.

وهذا ما أثار قدراً هائلاً من الخلاف والتأمل حول إمكانية استنساخ إنسان من خلايا بالغة حيث أن الرئيس "كلنتون" وبعد استنساخ النعجة "دولي" طلب من اللجنة القومية الاستشارية للأخلاقيات الحيوية حول الاستنساخ فقد قدّم دراسات وتوصيات بحضر التمويل الفيدرالي لأبحاث الاستنساخ البشري ، وإلى تعليق مثل هذا النشاط في الشركات والمؤسسات الخاصة ، وإلى أن يؤخذ الكونغرس بعين الاعتبار إصدار حضر تشريعي، فالعقوبات التقنية أمام استنساخ البشر تبقى أقل بكثير من تلك الموجودة في التشخيص في الهندسة الوراثية وهي عقبات تتعلق بالسلامة وأخلاقيات التجريب على البشر[3].

إن تطور العلم الوراثي، يجعل تقنيات الهندسة الجينية عامة وخاصة مدار قلق، خاصة أنه توجد هناك دوافع كثيرة تسعى لأجلها يمكن أن يكون تأثيرها ضاراً

---

1 – عبد الحميد القضاة: الاستنساخ جديد أم قديم، الجمعية الإسلامية، المستشفى الإسلامي، الأردن، 1997، ص . ص 4، 5.

2 – كمال خابر: الإشكالية الأخلاقية للاستنساخ، الماجستير، الجزائر، 2012، ص . ص 53، 54.

3 – فرانسيس فوكوياما: مستقبلنا بعد بشري، عواقب الثورة التقنية الحيوية، مصدر سابق، ص . ص 100، 101.

بصحة الإنسان في أغلب الأحيان، فقد عمل الإنسان على مر الزمان بخلق حيوانات ونباتات جديدة أو مستنسخة عن كائنات أخرى. وذلك عن طريق التعديل الجيني أو استخدام طرق أخرى تمكنهم من الحصول على كائنات محسنة وراثياً[1].

ب – الطريق إلى طفل حسب الطلب:

قبل أن تصبح الوراثة علماً كامل النمو فإنها كانت تجبرنا دائماً على أن تتخذ أحكاماً تقويمية، فالأباء يأملون أن يرث أبناؤهم ما يعتبرون أنه أحسن ما فيهم من صفات وراثية.

ويبتهلون في الوقت نفسه ألا تصيب أطفالهم لعنة الصفات العائلية غير المطلوبة[2]، وتبعاً للتقدم الهائل الذي عرفته ميادين الطب والبيولوجيا ، والصحة منذ ما يقارب من أربعة عقود ، ظهر تسابق نحو إنجاب أطفال يمتازون بمواصفات إيجابية، على أي طفل خالي من كل العيوب والأمراض الوراثية فمنذ القدم حلم الإنسان (بالفرد الكامل)، وسعى بناء على ذلك إلى تحسين مصيره على المستوى الفردي والجماعي لتحقيق هذا الحلم، فتكون الجائزة الكبرى للتقنية الوراثية الحديثة فالتكنولوجيا، هي دراسة الأساليب الفنية "التقنيات" البشرية في صناعة وعمل الأشياء [3]، ومن هذه التقنيات الوراثية هي "طفل التفضيل"، أي أن اختصاصي الوراثة سيتمكنون من تحديد الجين ات الخاص بصفة الذكاء والطول ولون الشعر وحتى العدوانية واحترام الذات ، ويستخدموا

---

1 – جيروم باندي: القيم إلى أين، ط 1، ترجمة زهيدة درويش جبور وجان جبور: مراجعة عبد الرزاق الحليوي، منشورات اليونسكو والمجتمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، بيروت، بيروت، 2004، ص 383.

2 – زولت هارسنياي، ريتشارد هتون: التنبؤ الوراثي، مرجع سابق، ص 149.

3 – آر. إيه، بوكانان: الآلة قوة وسلطة، ترجمة شوقي جلال، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1990، ص 13.

كل هذه الصفات الوراثية في صنع نسخة أفضل حسب الطلب [1]، وهذه التقنية تسمى في علم الأحياء أو الهندسة الوراثية بتحسين السلالة بغية الحصول على أجواء السلالات البشرية الخالية من العيوب، ورغبة في التحكم في الإنجاب البشري بشكل خاص، وتوريث الأجيال القادمة أحسن الخصائص والسمات التي يتوفر عليها الجيل الحالي وتجنيبها ما يعاني منه من أمراض وعيوب منها ما يتعلق بالعاهات [2]، المستديمة والأمراض العقلية، وهي رغبة قديمة قدم الجنس نفسه فهذه النزعة ارتبطت بالرغبة في تطوير الجنس البشري والدفع به نحو طريق التقدم وتخليصه من كل أشكال الضعف والمرض التي تحول دون ذلك إلى التقدم أو تأخره، وتنادي هذه النزعة بناءاً على ذلك بتقنية الأعراف وهي القضاء على الجينات المريضة المهيبة إضافة إلى التخلص من الأفراد والفئات التي تعتبرها تشكل عالة عليها وتشكل تهديداً أيضاً على الأجناس المتفوقة بسبب ما يحملونه من صفات المرض والعلة[3].

إلا أن فوكوياما يقول بأن هذا الغرض غير صحيح لأن فشل هذه التقنيات كثيرة ولا تكلل دائماً بالنجاح ولهذا فهي تبقى مجرد فرضيات في غالب الأحيان، ومن المفترض أننا لا نود إنتاج طفل بشري قبل أن تتوفر لديه فرصة اعلي بكثير للنجاح وعند إذن فإن عملية الاستنساخ قد تنتج عيوباً لا تظهر إلا بعد سنين فعواقب الهندسة الوراثية، قد لا تظهر عند إعداد الجنين ولكنها قد تظهر بعد سنين أو حتى بعد جيل كامل[4].

---

1 – فرانسيس فوكوياما: مستقبلنا بعد بشري، عواقب الثورة التقنية الحيوية، مصدر سابق، ص . ص 101، 102.

2 – عمر بوفتاس: البيوإتيقا، مرجع سابق، ص 343.

3– المرجع نفسه، ص 343.

4 – فرانسيس فوكوياما: مستقبلنا بعد بشري عواقب الثورة الحيوية، مصدر سابق، ص 104.

كما يؤكد أيضا على أنه يجب المحافظة على الصبغيات الوراثية، لأن رغم هذا التطور الذي يشهده العالم فهناك من يحمي هذا الإنسان ويوجب احترام والتقدير لهذا الكائن لأن هذه الطبيعة تتضمن في الوقت نفسه الكرامة البشرية للأفراد.

الفصل الثالث:

مستقبل ما بعد البشري

المبحث الأول:

الطبيعة البشرية

أ: تعريف الطبيعة

ب: تعريف البشر (الإنسان)

المبحث الثاني:

الكرامة الإنسانية

أ: تعريف الكرامة

ب: الإنسان وكرامته

تمهيـــــــــد:

لقد ميز الله تعالى الإنسان عن غيره من الكائنات الحية، بالفكر والمعرفة والقيم الأخلاقية، وحباه بقدرات غير محدودة على الإبداع والابتكار والخيال، ووهبه كفاءة عالية لاكتساب الخبرات والتحكم فيها وتطويعها للوصول إلى التطور التكنولوجي والحضاري، فقد شهدت حضارة الإنسان على التطور التكنولوجي في العصر الحديث، تغييراً جوهرياً في الحياة البشرية، كثير منها كان يعد ضرباً من الخيال، وبعضها لم يكن ليخطر على بال بشر، فكانت الثورة المتعلقة بفهم التركيب الذري، وما أعقبها من مقدرة الإنسان على التوصل إلى إحداث التفجيرات النووية، وهو ما يعرف بعصر الذرة، ثم نشأت ثورة علمية جديدة في فيزيقا المواد الصلبة، وبزغت عن هذا الفرع الدقيق من العلوم ثورة الالكترونات الدقيقة، والتي نشأة عنها ثورة الكمبيوتر وما تلاها من تطبيقات هائلة في المجالات العسكرية والسلمية في مناحي الحياة البشرية جميعاً ، وأضيفت إلى ذلك تطورات جديدة نشطة حينما نجح علماء الطب والبيولوجيا في زراعة الأعضاء واستبدالها فكانت زراعة الكلى ثم زراعة الرئة فالكبد فالبنكرياس ثم القلب والقلب والرئة معاً. ومنه: **كيف تجاوز الإنسان هذا الكم الهائل من التطور؟ وهل بإمكانه تجاوز هذه المعضلات؟ وإلى أي مدى يمكن أن يصل مصير الإنسان؟.**

المبحث الأول- الطبيعة البشرية:

لقد ابتكر الإنسان طريقة الإخصاب الصناعي وجاء ذلك نتيجة التقاء التقدم العلمي والتكنولوجي[1] الذي حدث في حقلين منفصلين هما بيولوجيا التناسل والبصريات الليفية، وبعد ذلك جاءت تكنولوجيا الهندسة الوراثية واكتشاف أسرار الشفرة الوراثية ، وهو ما يطلق عليه "**بالتكنولوجيا الحيوية** "، فهو علم تطبيق المعلومات الوراثية الموجودة في الكائنات الحية من أجل تحقيق أقصى استفادة في المجالات الزراعية، الصيدلانية، البيئة، الطبية والصناعية ، وذلك باستخدام الكائنات الحية والخلايا والجزئيات الوراثية[2]، في إنتاج المنتجات الهامة لتحسين المستوى الاقتصادي ، وهذا المجال هو عبارة عن دمج العلوم البيولوجية والكيمياء وتكنولوجيا التصنيع، والتي تهدف إلى استخدام الكائنات الحية والخلايا والجزيئات لتصنيع ، وإعداد المواد الخام الحيوية الوراثية من أجل إنتاج المنتجات الهامة لخدمة النّاس والبيئة ، وبهذا المعنى تحولت التقنية من أداة يمكن أن تساهم في إعلاء الحياة وازدهارها وتطورها، إلى وسيلة للسيطرة بل إلى إيديولوجية تتحكم في مصير الإنسان هذا الذي نظر إليها باعتبارها "خلاص الإنسانية من جبروت الطبيعة وآفاتها، واستحكمت هذه النظرة عندما استطاع الإنسان أن يخطو درجات لا بأس بها أهلته للسيطرة على كثير من الظواهر الطبيعية الأمر الذي سمح له بتوسيع حريته وتحسين قدرته... وجعلت منه دمية بين أنياب الآلات ومخالبها"[3]، وكانت المحصلة أن أصبح الإنسان رهين الأشياء هي من صنعه،

1 - هيفاء النكيس: نقل الأعضاء وزرعها، أمل في البقاء ومعضلات التجربة، الأخلاقيات التطبيقية والرهانات المعاصرة للفكر الفلسفي، إصدارات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، 2016، ص 73.

2 - لائحة برنامج الماجستير في مجال البيوتكنولوجي: مرجع سابق، ص 3.

3- حسن مصدق: يورغن ها برماس ومدرسة فرانكفورت، النظرية النقدية التواصلية، ط 1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص، ص 97، 98.

إذ لم يعد بإمكانه الانفلات من قبضتها أو التفكير بمعزل عنها فاغترب [*]، عن إنسانيته وتحول إلى شيء، وإلى مجرد رقم حسابي يضاف لأرقام الحساب الأخرى.

فلم يعد الإنسان اليوم بمستطاعه أن يفكر خارج التقنية، فأصبح كل واحد منا يقر في أعماق نفسه أن الآلة قد جعلت منه آلة كما لو كان في مصنع، [1] فانسلاخ الإنسان من إنسانيته جعلته يسعى دائما ودون هوادة إلى السيطرة على الطبيعة، ومن ثم على الإنسان، دون الالتفات إلى القيم الأخلاقية أو التفاعلات الاجتماعية فبدل من أن تكون قوة التكنولوجيا قوة محررة، بتحويلها الأشياء إلى أدوات، أضحت "عقبة في وجه التحرر عن طريق تحويل البشر إلى أدوات" ، **من هنا كيف نستطيع إن نقنع الإنسان المعاصر بأن سلبيات البيولوجيا المعاصرة قد تكون اخطر وأشرس من ايجابياتها؟ . كيف يمكن أن نستدرجه إلى التفكير في مصيره هو كانسان ثم مصير البشرية جمعاء في ظل هذه التقنيات غير المتحكمة فيها نسبيا؟.**

نستهل إذن الحديث عن المستقبل البشري من زاوية تصور مصير الإنسان من خلال بعض الرؤى المجسدة في تخيلات بعض المفكرين و الفلاسفة، وهي في مضمونها أقرب إلى الخيال منه إلى الواقع.

---

* – الاغتراب: هو مفهوم يصف كل من عملية ونتائج النشاط الإنساني والاجتماعي (منتجات العمل، النقود، العلاقات الاجتماعية...) في ظروف تاريخية معينة وكذلك تحويل خصائص وقدرات الإنسان إلى شيء مستقل عنها ومتسلط عليه وأيضا تحول بعض الظواهر والعلاقات إلى شيء يختلف عما عليه في حد ذاته ...(أنظر الموسوعة الماركسية: مفاهيم ومصطلحات، من موقع أرشيف الماركسي على الانترنيت http ://WWW.marists.org/arabic/index.htm.

1 – تيودو ر أدورنو هوركهايمر : جدول التنوير، شذرات فليب فيه، ترجمة جورج كتوره، ط 1، دار الكتابة الجديدة المتحدة، 2006، ص310.

ففوكوياما من خلال كتاباته الأخيرة وبخاصة (نهاية التاريخ) يقر بأنه جد متخوف من نهاية فعلية نضال الإنسان [1] فقد تقوده إلى مسخ الكائنات البشرية و القضاء على الإنسان ونهاية التاريخ.

وقد حاول فوكوياما من خلال كتاباته الأخيرة أن يبين أن "هكسلي" كان على حق وأن أخطر ما تهددنا به التكنولوجيا المعاصرة هو احتمال أن تغير الطبيعة البشرية، ومن ثم تدفع بنا إلى ما بعد البشرية من التاريخ.[2]

فكل هذه النهايات هي عبارة عن نهاية عصر اتسم فيه الفكر بخصائص معينة يقوم على أنقاضه فكر آخر، يقدم إجابات عن أسئلة عالقة وهذا يدل على توقف في تاريخ تطور كيان ما، واستنفاد اطر النظر ووسائل العمل في مواجهة التحديات و المشكلات، أين تصبح هذه النهايات ضرورة حتمية من أجل إعادة التوازن وتعديل المسار لنهاية تحول جوهري كامل، [3] وبهذا تعلن نهاية مرحلة وقيام أخرى على أنقاضها، وتشير إلى حالة مخاض و لح ظة ميلاد، فالموت طبقا للتصور الحيوي للظواهر الإنسانية والطبيعية والاجتماعية يفضى إلى ميلاد، وكما أفضى الميلاد من قبل إلى الموت، وبهذا فهي بشارة بخلق جديد و نشأة أخرى ونهاية لعصر وإنتاج الآخر.

فالاتصال الموجود بين البدايات و النهايات ، هو أن تلك النهايات المعلنة هي بدايات، مما يعني أن البداية و النهاية بمثابة وجهين لقطعة نقدية واحدة ، فما أن تقلب وجه النهايات حتى يصادفك وجه البدايات، لذلك لا يجب أن نقرأ بالصيرورة حرفية وساذجة بوصفها قطيعة حاسمة ففصلوا بين أطوار الوجود والعدم. إذاً الحاضر

1 – عمر زرقاوي، مرجع سابق، ص44.

2 – فرانسيس فوكوياما: مستقبلنا ما بعد بشري، مصدر سابق، ص 31.

3 – عبد الوهاب المسيري: الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ، مرجع سابق، ص 259.

هو في النهاية ما قاد إليه الماضي تماماً كما أن المستقبل هو ما يمكن أن يقود إليه الحاضر[1]. فمن الصعوبة وضع تعريف جامع مانع لطبيعة البشر، وقبل إيراد التعريف نرى أنه من الواجب أن نفصل هذا المصطلح حيث نجد أنه يشمل على مفهومين هما الطبيعة والبشر (الإنسان).

أ- تعريف الطبيعة:

هي القوة السارية في الأجسام التي يصل بها الموجود إلى كماله الطبيعي، كذلك الطبيعية هي ما يتميز به الإنسان من صفات فطرية وهي ضد الصفات المكتسبة كما يقال أيضا أن الطبيعة هي مجموع ما يتميز به الشيء من خواص نوعية، طبيعة الحياة، طبيعة النفس وطبيعة الفرد والمجتمع[2].

ب-تعريف البشر (الإنسان):

الإنسان: هو الكائن الحي المفكر، والإنسان الراقي الذهناً وخلوقاً،

والإنسانية **لغة:** خلاف البهيمة وجملة صفات التي تميز الإنسان أو جملة النوع البشري التي تصدق عليها هذه الصفات ومن محاسن لفظه إنسان أنها تجمع النوعين الذكر، الأنثى[3].

وفي القرآن الكريم: يستخدم لفظ الإنسان في مواضيع المسؤولية والتكريم بينما لفظ البشر لوصف مجموعة من المخلوقات .

اصطلاحا: فهو الإنسان الذي خلقه الله تعالى لأعمار الأرض ولعبادته.

1 - علي حرب، مرجع سابق، ص 11.

2 - جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص 13.

3 - جرجي شاهين عطية: معجم المعتمد للغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007، ص 23.

كما أن هذا الإنسان عندما وجد على سطح الأرض كل الأديان كانت تقدسه لهذا هناك ما يعرف بحقوق الإنسان التي تحميه من كل الأخطار ، فحقوق الإنسان هي مجموعة الحقوق الطبيعية التي يمتلكها الإنسان واللصيقة بطبيعته، والتي تظل موجودة إن لم يتم الاعتراف بها، بل أكثر من ذلك حتى ولو انتهكت من قبل سلطة ما[1].

لهذا فعلى البشر أن يتمتعوا بهذه الصفة لأنهم آدميون وينطبق عليهم الشرط الإنساني لأن هذه الحقوق ليست منحة من أحد، ولا يؤذن فيها من الدولة، وهذه الأخيرة لا تمنعها، وإذا كانت الأنظمة القانونية تختلف من دولة إلى أخرى فإن الحقوق المقررة "للإنسان" هي استحقاقات، لا لبس ولا غموض لها في القانون الدولي، وكل دولة مطالبة بأن تكيف أنظمتها القانونية بحيث تستوعب وتعكس وتطبق القانون الدولي الخاص بحقوق الإنسان[2].

كل حقوق الإنسان سواء كانت هذه الحقوق مدنية، سياسية، اقتصادية، اجتماعية، ثقافية أصلية، فهي مرتبطة بكرامة الإنسان ومن ثم فجميعها على نفس المكانة كحقوق.

فلا يمكن تدريجهم على سلم هرمي، فكون الإنسان وحدة غير قابل للتجزئة فكذلك الحقوق كل لا يتجزأ، فلكي يعيش الجميع بكرامة ، فإنه يحق لهم أن يتمتعوا بالحرية والأمن وبمستويات معيشية لائقة[3]، لكن حقوق الإنسان وكرامته البشرية لم تعد

---

1 – علي محمد صالح الدباس، علي عليان محمد أبو زيد: حقوق الإنسان وحرياته الأساسية ودور شرعية الإجراءات الشرطية في تعزيزها، دراسة تحليلية لتحقيق التوازن بين حقوق الإنسان وحرياته، وأمن المجتمع تشريعياً، فقهياً وقضائيا، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، 2005، ص 27.

2 – محمود إسماعيل عمار: حقوق الإنسان بين التطبيق والضياع، دار مجدلاوى للتوزيع والنشر، عمان، الأردن، 2002، ص 20، 21.

3 – محمد يوسف علوان، محمد خليل الموسى: القانون الدولي لحقوق الإنسان، المصادر ووسائل الرقابة، ج 1، ط 1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، 2005، ص 114.

سارية المفعول في مجتمع ضاعت فيه الأخلاق وماتت فيه قلوب الرحمة فلم يعد ينظر للإنسان كائن بشري بل أصبح مجرد آلة لتجريب في عصر (الآلة) التقنية.

ربما يعتقد النّاس اللذين لم يولوا اهتماماً كبيراً حول البيوتكنولوجيا البشرية ، أن القضية الرئيسية هي الإجهاض مادام خصوم الاستنساخ ، هم أولئك الدعاة الصرحين إلى الحق في الحياة إلى حد الآن، واللذين يعارضون تدمير الأجنة، ولكن هناك مبررات تفرض أن يكون الاستنساخ ، والوسائل التكنولوجيا التي تنتج عنه مثار اهتمام جميع النّاس الم تدينون منهم والعلمانيون ، وقبل كل شيء أولئك الذين يهتمون بحماية البيئة الطبيعية. ذلك أن محاولة التغلب على الطبيعة البشرية عبر البيوتكنولوجيا أكثر خطراً.

فالطبيعة البشرية كما يعرفها فوكوياما بأنها مجموع السلوك والخصائص التي تميّز جنس البشر والناتجة عن عوامل الوراثية لا العوامل البيئية[1].

كما حاول أيضاً أن يعرف الطبيعة البشرية اعتمادا على كلاسيكيات القرن الماضي، وفحواها أن الصفحة البيضاء تملأ وهي الطرق المميزة لنوعنا البشري والتي بها نتعلّم ونتطور ذهنياً، فالبشر لهم أسلوب خاص في المعرفة، وهو أسلوب قابل للتعديل، فالمعارف يمكن تجميعها وتعديل حدودها، وبهذا فإن الطبيعة البشرية على مجموع الخصائص، والسلوكات البشرية المميزة لنوعنا ، والتي بزغت منذ نحو مائة ألف عام مضت، خلال ما يسميه بيولوجيو التطوّر، باسم عصر التكيف التطوري ، وعندما كان أسلاف الإنسان الحديث يعيشون ويتكاثرون، هذا يقترح عند الكثيرين أن الطبيعة البشرية ليست لها منزلة خاصة كدليل للفضائل والقيم لأنها عارضة تاريخية[2].

---

1 – فرانسيس فوكوياما: مستقبلنا بعد بشري، مصدر سابق، ص 165.

2 – المصدر نفسه، ص 219.

فالثورة التكنولوجية تهدد الكرامة والطبيعة البشرية ، فالعلم الآن أصبح يتجاوز صلاحياته وصوره، وهذا ما علاجه فوكوياما في كتابه "عواقب الثورة التقنية" في مجالات الحيوية وفي الهندسة الوراثية، وما يمكن للدول والعالم فعله تجاه الأخطار المتوقعة بسبب الاستخدام الخاطئ والإرهاب لمثل هذه التقنية[1].

لهذا فكر فوكوياما في تأثير علم الأحياء الحديث ، في فهمنا للسياسة فعبر عن قلقه من آخر التطورات التي توصلت إليها العلوم البيولوجية ، وخاصة علم الأعصاب والدماغ وقال إن الصورة البيولوجية التكنولوجية الحالية قد تطبق على الإنسان وتؤدي إلى تغيير طبيعته وسوف تكون لها انعكاسات خطيرة على النظام السياسي نفسه.

فاللامساواة بين البشر سوف تتزايد ، وكذلك التميز العنصري، والظلم والقهر فهو يقول يجب علينا أن نقوم بمراقبة سياسة هذه الثورة البيولوجية التي تريد صنع الإنسان في أنبوب اختبار، أو التي توصلت إلى استنساخ الحيوانات تمهيداً لاستنساخ البشر[2].

وبالتالي فالعلم لا يحق له أن يفعل ما يشاء بنا، وليس كل تقدم أو اختراع علمي هو بالضرورة لصالح الإنسان، لأنه أصبح يتلاعب بالصبغيات الوراثية للإنسان ، أي بجوهر الإنسان وبطبيعته الداخلية، وهنا نقول له قف! هذا خط أحمر، حذار من المساس بالطبيعة البشرية ، لأن العلم دون وازع أخلاقي أو ضمير قد يؤدي إلى كارثة بقول فوكوياما إذا استمر الحال هكذا سوف يختفي الإنسان من الوجود ويظهر إنسان جديد أكثر سعادة[3].

إنه إنسان اصطناعيا لا طبيعياً، وهذه المرحلة هي مرحلة ما بعد الإنسان ، أي الإنسان الاصطناعي الذي يتحكم فيه العقاقير الطبية ، أو التلاعبات الوراثية ، **ولكن كيف**

---

1 – فدوى مقوص: دراسات فكرية، مستقبلنا ما بعد البشري فوكوياما يدق ناقوس الخطر: الطبيعة الإنسانية أصبحت مهددة، العدد 6688، 2007.

2 – المرجع نفسه، ص 219.

3 – ابراهيم البليهي: الطبيعة البشرية، الرياض، 2017،

يمكن أن نتحاشى كل هذه المخاطر؟[1]، وبالتالي فإن مجمل أفكار فوكوياما ليست تشاؤماً بل تحذيراً، لكي تمنع وقوع الكارثة ومن أجل التحكم بالعلم.

1 – محمد الأحمد: فوكوياما التحذير من التصدع العظيم، قراءة في منهج فرانسيس فوكوياما، العدد 1339، 2005.

المبحث الثاني– الكرامة البشرية:

إن الكرامة الإنسانية صفة لصيقة بالإنسان، ووجودها يعني وجود الإنسان، فوجودها في الحيز الخاص يعني وجود الإنسان وتنتقل إلى الحيز العام *، عندما تطالب الشعوب بأن تضع القوانين ، كون الكرامة لصيقة بالإنسان، إذ لا وجود لإنسان دون كرامة وعدم ظهورها في الحيز العام لا يعني أنها اختفت، إنها دائماً موجودة، قبل أن نتحدث عن الكرامة، **فماذا نعني بالكرامة؟.**

أ- **تعريف الكرامة:**

لفظ الكرامة في اللاتينية هو d’gnitas وفي الفرنسية هو d’gn’t ويشتق منه الحد d’gn’tare ويفيد ثلاث معاني[1]:

1- **معنى اجتماعي** : المنزلة التي يحتلها الفرد في التراتبية الاجتماعية ، والمحمولات والمحاسن المنجزة عن هذه الرتبة.
2- **معنى أخلاقي**: القيمة الممنوحة إلى شخص الإنساني في حد ذاته بمعزل عن طباعه الفيزيائية، وموقعه الاجتماعي، وهو ما أشار إليه كانط إلى ضرورة معاملة الشخص كغاية وليس كوسيلة، الكرامة تمنح قيمة تخص الغاية المطلقة.
3- **معنى نفسي**: الوعي الذي يستمده الفرد من قيمته الخاصة لكونه شخصاً إنسانياً، فإذا كان المجد هو قيمة ترابية فإن الكرامة هي قيمة المساواة، وتتماشى مع الصورة التي يحملها المرء لنفسه، عندئذ تأخذ الحماسة بالبعض إلى درجة التضحية بالنفس من أجل إنقاذ كرامته من كل إهانة.

*** – يعرف هابرماس المجال العام: باعتباره مساحة جماعية تتيح للأفراد والنقاش الجماعي الحرّ غير مفيد ويكون الرأي العام ما يتعلق بالمصالح المشتركة بينهم (جدل القاسم: إشغالات الكرامة الإنسانية في حيّز العام، العدد التاسع والعشرون / كانون الأول 2016، مدى لاكرمل www.mada.vesearch.org**

1 – زهير الخويلدي: الكرامة الإنسانية والحق في الثورة، منشورات الطليعة العربية في تونس، ص 3.

ب- الإنسان وكرامته:

إن مبدأ الكرامة الإنسانية عند كانط يقتضي أن تعامل الإنسان على أنه غاية لذاته لا على أنه وسيلة لغيره، **لكن ألا يقتضي مبدأ الكرامة البشرية الاستنجاد بمبدأ الاحترام الأخلاقي؟**

لقد أصبحت كرامة الإنسان مهدورة ومسلوبة في عصر لم يعد للإنسان وجود، وذلك بالنظر إلى التطور الحاصل في المجالات السياسية ، والاقتصادية، والاجتماعية، والمعرفية عامة، ومجال الطب والبيولوجيا خاصة كون الإنسان موضوعها.

فمصطلح الكرامة * الإنسانية بات أسيراً لدى الإنسان بعد التجربة الطويلة من فقدانها في عدد كبير من بلدان العالم بفعل الدكتاتوريات العسكرية الأمنية. فنقول كرامة الإنسان هي الحفاظ عل حق الإنسان الطبيعي والمدني، الاجتماعي وبخاصة الحق في حرية إرادته، من أهم معايير الكرامة أن تفعل ما تمليه عليك ذاتك بإرادة حرة دون خرق حق أحد من الناس أو الاعتداء على حق أحد سواء كان الحق طبيعياً أو قانونياً[1].

وبذلك فإن الكرامة الإنسانية هي الأساس الصلب الذي تبنى عيه حقوق الإنسان، فجوهر الفردانية الإنسانية ، هي الكرامة فكما كرم الله الإنسان وجعله أسمى مخلوق على ظهر الأرض، وجب أن يدرك البشر أن الحفاظ على كرامتهم أمام البعض من حقوقهم الأساسية ، وكذلك نجد الكرامة وحرمة الجسد والعقل الإنساني هي أحد الأصول الكبرى لكل منظومات حقوق الإنسان[2].

*** – فالكرامة تعني في: اللغة الحزارة والكرامة اسم يوضع للإكرام والمكرّم، وهو الرجل الكريم على أحد. (أنظر: ابن منظور، لسان العرب، المجلد الخامس، دار بيروت للطباعة والنشر، 1968، ص 3862).**

1 – أحمد برقاوي: الكرامة الإنسانية، خطاب الكرامة وخطاب الخنوع، العدد 10285، 2016، ص 14 .

2 – مصطفى النشار وآخرون: الفلسفة التطبيقية، الدار المصرية اليهودية لطباعة والنشر والتوزيع، القاعدة، 2005، ص . ص 259، 260.

لهذا يقتضي التسليم بأن الأشخاص لهم كرامة الاعتراف بأن كل شخص هو فريد ولا يقيم بثمن، في حين أن الأشياء تقيم بثمن وذلك لأنه يمكن استبدالها بشيء آخر مساوي لها في القيمة، ويترتب على ذلك أن مفهوم الكرامة الإنسانية يتطلب عدم إضفاء الطابع المادي على الكائن البشري وجعله أداة يمكن تداولها.

ويستخلص مما تقدم أنه لا يمكن التضحية بشخص في سبيل إنقاذ أشخاص آخرين، ولا يمكن إخضاع فرد لتجارب عملية من شأنها أن تشكل خطراً على حياته، وكذلك لا يملك أخذ عضو حيوي من شخص، وإعطاؤه إلى شخص آخر لإنقاذ حياته، ولا يجوز إنتاج كائنات بشرية مستنسخة ، أو تحديد صفات شخص قبل ولادته عن طريق الهندسة الوراثية، وذلك من أجل إرضاء رغبات الآباء المحتملين[1].

ففي جميع هذه الحالات هناك إضفاء صفة الطابع المادي على الأشخاص ، ومن ثم فهي مخالفة للكرامة الإنسانية، والكرامة هي المبدأ يشعر كل فرد، بصورة غريزة بحقيقته وبقوته، حتى لو اختلفنا في تحديد مضمونه فهو يتعلق بداية بجوهر الإنسان [2]، لأن الحق في الكرامة الإنسانية يعتبر أهم حقوق الإنسان التي تتعرض في كل مرة للمساس خاصة مع ما نشهده من تطور في مجال الطب الحيوي ، واستنادا لشرط احترام الكرامة الإنسانية لمشروعية الممارسات البيوطبية على الجين البشري يجب أن تقف هذه الممارسات عند حد احترام آدمية الإنسان ، التي ترجح على غيرها من المصالح وإلا وصفت الممارسات بغير مشروعية فتسارعت الجهود الدولية والداخلية نحو وضع سياسة واضحة لضبط مسار هذا التطور، فنجد نصوص عامة وأخرى خاصة[3].

1 – فواز صالح: مبدأ احترام الكرامة الإنسانية في مجال الأخلاقيات الحيوية، دراسة قانونية مقارنة، مجلد 27، العدد الأول.

2 – محتال آمنة: التأطير القانوني للعمل الطبي على الجينوم البشري، الدكتوراه، تلمسان، 2017، ص 115.

3 – المرجع السابق، ص 115.

ويشير فوكوياما إلى قرار المجلس الأوروبي عن استنساخ البشر: إن تحويل الإنسان إلى آلة عن طريق التخليق المتعمّد لبشر متطابقين وراثياً، وهو أمر مناقض للكرامة البشرية، ومن ثّم فهو استخدام خاطئ للطب والبيولوجيا، والكرامة الإنسانية هي مفهوم من تلك المفاهيم التي يجب أن يطرحها من حولهم السياسيون وكل من يعمل في حقل الحياة السياسية لكن لا أحد تقريباً يمكنه أن يعرفه أو أن يفسّره ، فتركيز معظم السياسات على قضية الكرامة الإنسانية وما يرتبط بها من الرغبة في الاعتراف، فالبشر يطالبون الغير دائماً بالاعتراف بكرامتهم إما كأفراد أو كأعضاء في مجاميع دينية أو عرفية، والكفاح من أجل الاعتراف ليس مطلباً اقتصاديا بل هو مطلب لتحقيق الحرية والكرامة الفردية، والاجتماعية، والاعتراف هو أننا إذا جرّدنا الفرد من كلّ خصائصه الطارئة والعرضية، فسيبقى بعض من سجايا إنسانية جوهرية تستحق مستوى أدنى محدّداً من الاحترام والتقدير والحق في العيش في مجتمعات سياسية ديمقراطية تحترم فيها حقوقهم في الكلام والدين والارتباط والمشاركة السياسية[1].

لقد اعتمدت اللجنة الإقليمية ورقة مفاهيم تقدم المعلومات عن عمل منظمة الصحة للبلدان الأمريكية في مجال أخلاقيات علم الأحياء ، وأكدت على أهمية إدماج الاعتبارات الأخلاقية في السياسات الخاصة بالصحة والرعاية الصحية، وعند مناقشة ورقة المفاهيم أشير إلى أن التقدم في مجال الطب وتطوير التكنولوجيات الصحة الجديدة بوجدان المعضلات الأخلاقية المعقدة، وإلى ضرورة وضع السياسات العامة للتصدي لهذه المعضلات ، وتم التأكيد على أن هدف هذه السياسات ينبغي أن يتمثل في ضمان احترام كرامة الإنسان وحقوقه. وسلط الضوء على الحاجة إلى التدريب وإلى الإدماج المنهجي

1 – فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، تر: حسين أحمد أمين، ط 1، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة ،1993، ص71.

لمبادئ أخلاقيات علم الأحياء في جميع مجالات الرعاية الصحية وعلى أهمية بناء ثقافة أخلاقيات علم الأحياء[1].

وإذا كان أنصار الكرامة الإنسانية لا يعيرون أي اعتبارات أخلاقية أو قانونية للحياة الإنسانية ما قبل الولادة، فإن المدافعين عن كرامة الحياة الإنسانية يدعون إلى حماية كلية للحياة الإنسانية منذ بدايتها الأولى، لأن لحظة التحام النطفة بالبويضة تمثل لحظة ابتداء حياة جديدة تتميز بالفرادة، والاستقلالية والاستمرارية[2].

فمثلا المسألة المتعلقة بتجميد الأجنة المخصبة اصطناعيا، والاحتفاظ بها لفترة معينة، مع العلم أن هذه العملية " ليست مجرد ترف علمي أو وسيلة غير ضرورية لإتمام عملية الإخصاب عن طريق الأنابيب، بل هي أساسية للاحتفاظ بالبويضة حية أطول مدة ممكنة حتى الوقت الذي يراه الطبيب مناسباً لزرع البويضة في رحم الأم ، كما أنها تساعد الأم على تجنيبها المرور بعملية استخراج البويضات من الرحم أكثر من مرة، إذ يمكن أن تستخرج ستة أو تسعة بويضات وتلقح ثم نستخدم إذا ما فشلت العملية مرة أخرى"[3].

إلا أنه، وبالرغم من ذلك فإن هاته العملية **(تجميد الأجنة)** تثير في نظر الدافعين عن "**كرامة الحياة الإنسانية**" تحفظات كثيرة، وتتمحور بالأساس حول كيفية التعامل مع هاته الجنة الزائدة، أنتخلص منها؟ ، أم نخضعها للتجارب قصد تحقيق غايات علاجية...؟ ، وجميع هاته الممارسات تعد اعتداء وانتهاك صريح للمبادئ الأخلاقية*، وذلك لأن الذي يجعلنا أشخاص ، هو نوع الكائنات الذي نحن عليه ونوع

---

1 – منظمة الصحة العالمية، تقارير اللجان الإقليمية إلى المجلس التنفيذي الدورة الثانية والثلاثون بعد المائة، البند 4 من جدول الأعمال المؤقت، 18 كانون الثاني / يناير 2013، EB 132/4 ، ص 9.

2 – يورغن هابرماس: مستقبل الطبعة البشرية الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، مرجع سابق، ص 75.

3 – ناهدة البقصمي: الهندسة الوراثية والأخلاق، مرجع سابق، ص 139.

*** – لا يمكن استخدام الجين البشري في حالته الطبيعية لتحقيق مكاسب مالية من كتاب أحمد عبد الحليم عطية: قراءة في الأخلاقيات الراهنة، مرجع سابق، ص 165.**

الطبيعة التي نمتلكها، وليس مرحلة معينة يمر فيها الكائن البشري ككل [1]، وبالتالي فإن لحظة إخصاب الخلية الإنسانية الأولى تمثل البداية الفعلية ، "لصيرورة تطورية ليس فقط تنظيم نفسها بنفسها، بل غدت تتمتع بالفرادة، تبعاً لهذا التصرف كل ما يمكن تحديده بيولوجيا بوصفه نموذجاً إنسانياً يجب النظر إليه بوصفه شخصاً بالقوة وهو صاحب حقوق أساسية" [2]، مما يعنى أن المشاعر الأخلاقية للإنسان ومنذ لحظته الأولى، أي منذ أن كان علقة فمضغة، فجنين، فطفل... ، هي نفسها ولا تتغير مع تغير كل مرحلة لأن نوع الحياة التي تعيشها البويضة المخصبة الأولية ، هي نفس حياة الإنسان الناضج بما تحمله من خصائص، بل هي نفس نوع الحياة التي يعيشها الجنس البشري ككل[3]. وهذا ما يجعل الممارسات النسالية التي يدافع عنها البعض تعتبر عمل غير أخلاقي ينبغي حظرها بموجب القانون، لأن الجينوم البشري يمثل الخصوصية الرئيسية والنوعية التي تتميز بها الطبيعة البشرية لذلك وجب احترامها أخلاقياً وحمايتها قانونياً.

لكن هل وبمجرد أن البويضة تحمل إمكانية الكائن البشري يستلزم التعامل معها على أنها كائن بشري؟ ، وهل من الجائز أن تساوي بين الجنين وهو عبارة عن بضع خلايا مع الإنسان وهو مكتمل الأوصاف؟.

يذهب هابرماس إلى أن جميع الإعتبارت الأخلاقية سواء تلك التي تأتيها من الدين أو العلم عاجزة عن تقديم حلاً حاسماً ومقنعاً ينهي الجدل القائم حول مسألة الولادة وما قبلها، وهذا لكون جميع هاته التحديات في نظره تظل عبارة عن محاولة ترتبط بما هو تحكمي، وهذا ما يمنع "الوصول إلى تحديد متواطئ حول الوضعية

1 - المرجع السابق، ص 110.

2 - يورغن هابرماس: مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، مرجع سابق، ص 43.

3 - ناهدة البقصمي: الهندسة الوراثية والأخلاق، مرجع سابق، ص 110.

الأخلاقية سواء انطلقنا من المعنى الميتافيزيقي المسيحي ، أو من الفلسفة الطبيعية إلى على قاعدة الوصف لهذه الوقائع تقوم على رؤية للعالم[1].

والرؤية التي يقدمها هابرماس كمساهمة منه في النقاش، تقوم على إعطاء أهمية للحياة الإنسانية قبل الولادة، وهذا بالرغم من ذهابه إلى اعتبار الجوهر المعياري الذي يجعل من الحياة الإنسانية ما قبل الشخصية حياة جديرة بالحماية لا يوجد تعبيراً مقبولاً من الناحية العقلانية من طرف كل المواطنين ، لا في لغة التجريبية المتموضعة ولا في لغة الدين[2].

وهذا ما يجعل الحياة الإنسانية ما قبل الولادة غير الحياة بعد الولادة ، هذا يعني أن الكرامة الإنسانية من وجهة نظر أخلاقية وقانونية خاضعة لعلاقات اجتماعية، متبادلة ومتشابكة بين أعضاء جماعة يسيطرون بحرية جملة من المعايير والحقوق والواجبات المشتركة بينهم، أي أن الأخلاق تجد جذورها في المجتمع وليس في الطبيعة ، وهو ما أدى إلى انتشال الإنسان من حيوانيته ، وميزه عن الكائنات الأخرى[3]، مما يعني أن الكائن البشري وهو في أحشاء أمه ليس هو الكائن البشري بعد الولادة .

إن هابرماس بالرغم من قناعته بأن الحياة ما قبل الولادة هي غير الحياة بعد الولادة، إلا أنه يقر بأن الحياة الإنسانية تستحق الكرامة ، "وهي تتطلب الاحترام حتى بأشكالها الغفلة" [4]، فالجنين وهو ما يزال في رحم الأم، له علينا واجبات أخلاقية وقانونية علينا الالتزام بها، بالرغم من كونه غير حامل لحقوق الإنسان ، إلا أنه وفي

---

1 – يورغن هابرماس: مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، مرجع سابق، ص 43.

2 – المرجع نفسه، ص 43.

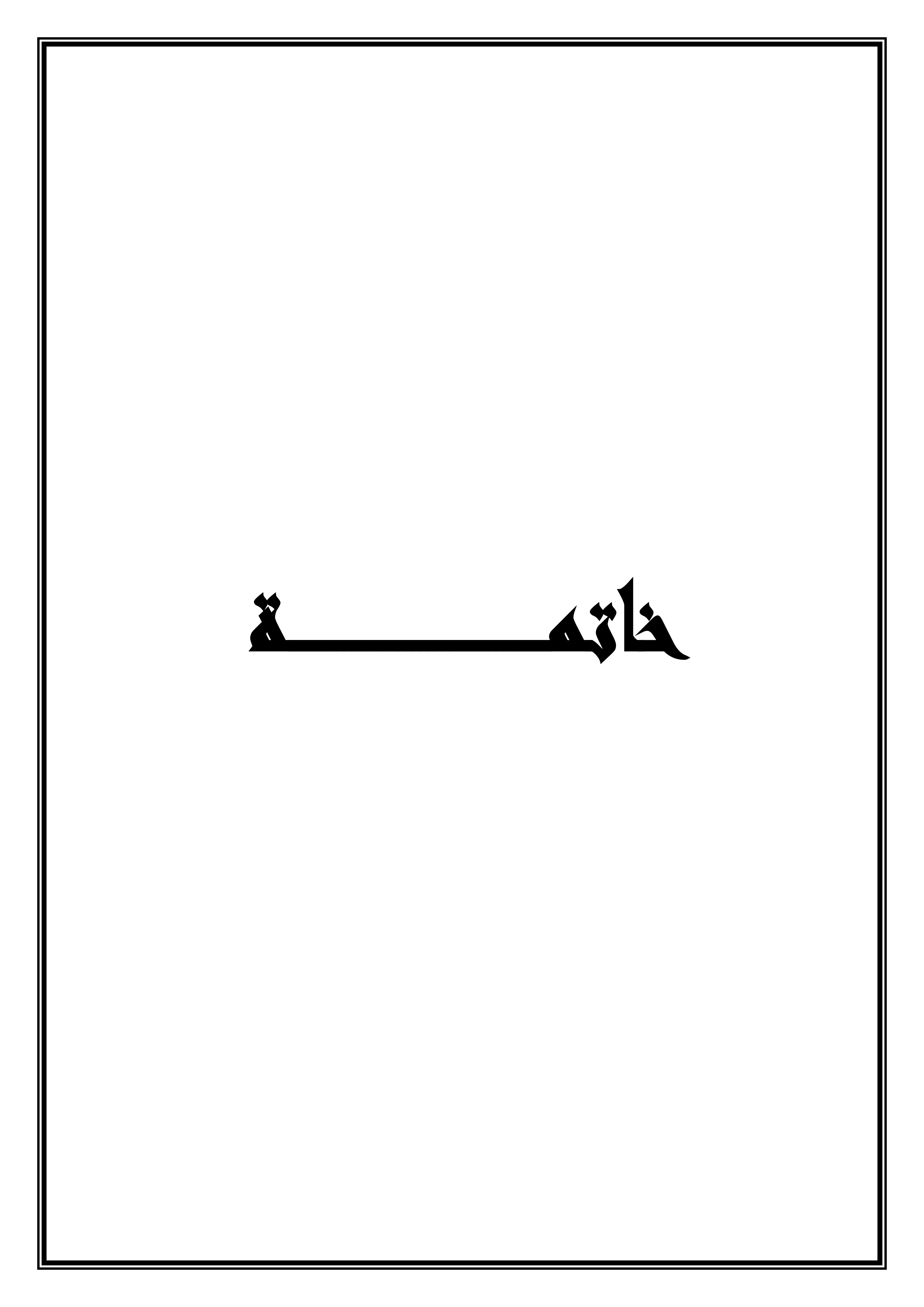
3 – يورغن هابرماس: مستقبل الطبيعة الإنسانية، مرجع سابق، ص 49.

4 – المرجع نفسه، ص 49.

ظل مجتمعات تعددية تتوزع بين تفاسير غيبية للأشياء ، وأخرى ذات طابع علمي، فإنه من الصعب الوصول إلى توافق أخلاقي، خصوصاً عندما يتعلق الأمر بمواضيع هي مازالت محل نقاش ويستخدم في كل وقت.

يدعو فوكوياما إلى الكرامة الإنسانية، وأكد عليها كثيراً خاصة في مجال علم الأحياء، فهو يدعو إلى الكرامة العالمية للإنسان ، وكذلك المساواة بين جميع الأفراد وهو يرفض كل ما يؤدي إلى الضرر فهو يرفض فكرة الاستنساخ والتلاعب بالجينات[1]، لأن الإنسان ليس لعبة في أيدي الباحثين ، ولأن الأمر لو استمر هكذا سوف ينتهي الإنسان الذي نعرفه نحن ويحل محله إنسان الآلة ، لهذا يجب أن نحترم الكرامة الإنسانية.

1 – Gilbert Hottois, dignité humaine et bioétique une approche philosophique critique, Human dignilyand bioethics acritical plilosophy approach, p 105, 106.



خاتمـــــــــــــــة

خاتمة:

من خلال ما درسنا في هذا الموضوع من أراء وأفكار، توصلت إلى العدد من الاستنتاجات من بينها:

* أنه إذا كانت الفلسفة تهتم بثلاث مباحث أساسية هي مبحث الوجود والمعرفة والأخلاق، فإن هذا الأخير (مبحث الأخلاق) والذي يعتبر موضوع بحثنا جزء منه، بحاجة إلى نقله بنوعية تجنبنا تلك الأحكام القبلية والجاهزة، أخلاق جديدة تنقلنا من الكم إلى الكيف والقول والنظر إلى العمل والفعل وهذا يحيلنا إلى قناعة أخرى وهي أن الفلسفة وإذا ما أرادت أن تحافظ على مكانتها ما عليها سوى أن تهتم باليومي وأن تتعايش معه ونفكر انطلاقا منه، فهذا الأخير (الواقع اليومي)، بات بفضل التقنية يقدم مواضيع جديدة للتفكير لم تكن مطروحة من قبل مثل ما يعرف بالبيوتكنولوجيا والبيوإتيقا.

* فالتقنية اليوم لم تكتفي بالسيطرة على الطبيعة الخارجية ، وإنما تعدها إلى الداخلية للإنسان ذلك الجزء المقدس بينما لم يسلم هو الآخر من التدخلات التقنية ، والخوف يكمن في نظر فوكوياما من إمكانية إحداث تغيرات جذرية في الطبيعة الجوهرية، فهذه التقنية متاحة في ظل مجتمعات ليبرالية تقدس الحرية الفردية وتعطي للأفراد حق التصرف في حياتهم الشخصية، واتخاذ القرار الذي يرون أنه الأنسب لهم حتى بالنسبة لتلك المواضيع التي كانت تبدو من قريب أنها محسومة القرار ، وغير قابلة للنقاش كمواضيع الهندسة الوراثية، والاستنساخ، والموت الرحيم... وغيرها.

* كما أن تخوف فوكوياما من تطبيق التكنولوجيا على الإنسان يؤدي إلى التغيير في الطبيعة البشرية، فقد حذر من الاستخدام الغير منتظم للعقاقير والأدوية العصبية ، وفكرة ظهور تقنية الاستنساخ ، فرغم القلق الذي يبديه فوكوياما حول مصير المجهول الذي

ينتظر الجنس البشري، إلا أنه يعود ويتفاءل في نهاية المطاف مؤكداً على حتمية انتصار الطبيعة البشرية على كل هذه التقنيات في المستقبل.

* كما استطاع الإنسان تاريخياً تجاوز المحن التي واجهته طيلة حياته، فقد وصل إلى مرحلة ما بعد الإنسان، وهذا المصطلح عند فوكوياما هو ذلك الإنسان الاصطناعي الذي يستمر ويعيش بالعقاقير الطبية والتعديلات الوراثية.

* ففوكوياما يعتبر أن المساس بكرامة الإنسان أمر بالغ الخطورة فعلى السلطات التدخل ، وفعل أي شيء من أجل السيطرة على التقنية ، والتحكم فيها لأنها أشياء مقدسة لا يمكن تجاوزها، لكن فوكوياما يقول أنه إذ لم تتدخل السلطة فلا شك أن الحكمة الطبيعية سوف تتدخل لتمنع الكارثة من الحصول ، وعليه وجب الحد والتحكم في هذه التقنيات الحيوية التي تريد تصنيع الإنسان في أنبوب اختبار ، أو تلك التي توصلت لاستنساخ الحيوان تمهيداً لاستنساخ البشر ، أو تقنية إطالة الحياة ، والتخلص من الشيخوخة في مجتمعات الصناعية المتقدمة بسبب تهديد للطبيعة والكرامة الإنسانية ، فالرهانات المترتبة عن البيولوجيا وعلم الوراثة بشكل خاص ذات نتائج واضحة وجدية، فهي ستؤدي إلى تغيير طبيعة الإنسان إذ لم يقترن هذا التقدم العلمي بالبيوإتيقا، فقد يؤدي إلى كارثة.

* ففوكوياما يقول أنه إذ استمر الحال هكذا فسوف يختفي الإنسان الذي نعرفه ويحل محله إنسان جديد أكثر تفوقاً على الإنسان الأول ، بفضل العقاقير الطبية فيكون أكثر ذكاء وأطول عمراً وأقل مرضاً، ولكن المشكلة التي يطرحها فوكوياما أن هذا الإنسان الذي سيظهر سيكون إنساناً آخر يكون أقرب للاصطناعي منه للطبيعي، وهذه هي المرحلة التي أطلق عليها فوكوياما بمرحلة ما بعد الإنسان أو مرحلة ما بعد إنسانية الإنسان ، أو بعبارة أخرى إنسان المستقبل أي مرحلة الإنسان الاصطناعي الذي تتحكم فيه العقاقير الطبية وتتلاعب به الهندسة الوراثية ، وبالتالي فمجمل أفكار فوكوياما هي عبارة عن تحذير من أجل التحكم في العلوم التقنية ، والتحذير أيضاً من تحويل استعمال الوراثي

للبشر إلى ملكية صناعية ، وتحول العالم بأسره لأن ما بعد الإنسان الذي قصده فوكوياما هو ذلك الإنسان الذي ينظر إليه بيولوجيا كمنتوج لتركيب الخلايا .

قائمة المصادر و
المراجع

فهرس المصادر والمراجع:

أولا- المصادر:

01: فرانسيس فوكوياما، أمريكا على مفترق الطرق، تر: محمد محمود التوبة، ط 1، مكتبة العبيكان، الو م أ.

02: فرانسيس فوكوياما، مستقبلنا ما بعد البشري: عواقب ثورة التقنية الحيوية، تر: إيهاب عبد الرحيم محمد ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2006.

03: فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر، تر: حسين أحمد أمين، ط 1، مركز الأهرام لترجمة والنشر، القاهرة، 1993.

ثانيا- المراجع:

أ – المراجع باللغة العربية:

01: إبراهيم أحمد، إشكالية الوجود عند مارتن هايدغر، ط 1، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2006.

02: أبو ضيف المدني، الأخلاق في الأديان السماوية، دار الشروق، القاهرة، بيروت، 1988.

03: أحمد عبد الحليم عطية، الأخلاق النظرية والتطبيقية، دار الثقافة العربية، القاهرة، 2016.

04: أحمد عبد الحليم عطية، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1988.

05: أحمد عبد الحليم عطية، قراءة في الأخلاقيات الراهنة، دار الثقافة العربية، القاهرة، 2010.

06: أيمن مصطفى الجمل، مدى مشروعية استخدام الأجنة البشرية في إجراء التجارب البحث العلمي، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2008.

07: تيودور أدورنو هوركهايمر، جدول التنوير، شذرات فليب، تر: جورج كتوره، ط 1، دار الكتابة الجديدة المتحدة، 2006.

08: جاكلين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، تر: عادل العوا، ط 1، عويدات لنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، 2001.

09: جان برنار، الطب في إنجازاته وإغراءاته، تر: بشير العظمة (د، ط)، منشورات وزارة الثقافية والإرشاد القومي، دمشق، (د، س).

10: جوليان باجيني: فلسفة موضوعات مفتاحيه، تر: أديب يوسف شيش، ط 1، دار التكوين لتأليف والترجمة، سوريا. (د، س).

11: جون ويليامز، الأخلاقيات الطبية، تر: صالح بن عمار، الوحدة الأخلاقية لجمعية الطب العالمية، (د، س).

12: جيروم باندي، القيم إلى أين، ط 1، ترجمة زهيدة درويش جبور وجان جيور، منشورات اليونسكو والمجتمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، بيروت، 2004.

13: حسن مصدق، يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت النظرية النقدية التواصلية، ط 1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2005.

14: دانيل كيفلس و لوري هود، الشفرة الوراثية للإنسان: القضايا العلمية والاجتماعية لمشروع الجينوم البشري، تر: أحمد مستنير، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الآداب، الكويت، 1997.

15: روجيه الجاويش، الأخلاقيات في الطب: مدخل إلى مقارنة فلسفية، ط 1، دار نوفل، بيروت، لبنان، 2008.

16: زولت هار سنياي، ريتشارد هتون، التنبؤ الوراثي، تر: مصطفى إبراهيم فهمي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب، الكويت، 1988.

17: سامي محمود، لا للشيخوخة المبكرة، ط 1، الدار المصرية للنشر و التوزيع، القاهرة، 1993.

18: سعيد محمد الحفار، البيولوجيا ومصير الإنسان، سلسلة عالم المعرفة، مجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د، س).

19: صالحي شوقي زكريا، التلقيح الصناعي بين الشريعة والقوانين الوضعية، دار النهضة العربية، 1422 هـ.

20: صفاء أحمد شاهين، جولات في عالم البيوتكنولوجيا، دار التقوى لنشر والتوزيع، (د، ت).

21: طه عبد الرحمان، سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة العربية، المركز الثقافي العربي، لبنان، 2000.

22: عبد الحسن الصالح، التنبؤ العلمي ومستقبل الإنسان، عالم المعرفة، 1981.

23: عبد الرحمان بدوي، الأخلاق النظرية، ط 1، وكالة المطبوعات الكويت، 1975.

24: عبد المهدي بواعنة، إدارة المستشفيات الصحية، دار الحامد لنشر والتوزيع، 2003.

25: عبد الوهاب المسيري، العولمة الشاملة والعلمانية، ج 1، ط 1، دار الشروق، القاهرة، 2002.

26: عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، ط 2، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 2007.

27: علي حرب، حديث النهايات: فتوحات العولمة ومآزق الهوية، ط 2، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، 2004.

28: علي محمد صالح الدباس، علي عليان محمد أبو زيد، حقوق الإنسان وحرياته الأساسية ودور شرعية الإجراءات الشرطية في تعزيزها: دراسة تحليلية لتحقيق التوازن

بين حقوق الإنسان وحرياته، وأمن المجتمع تشريعيا، فقهيا وقضائيا، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، 2005.

29: عمر بوفتاس، البيوإتيقا: الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا، إفريقيا الشرق المغرب، 2011.

30: فؤاد زكريا، التفكير العلمي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978.

31: فيليب ميلر، ثورة إطالة الأعمار، لا للعلم الأحداث لبلوغ شيخوخة متقدمة، تر: حسان أحمد، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان 2006.

32: مارتن هايدغر، التقنية، الحقيقة، الوجود، تر: محمد سبيلا وعبد الفتاح الهادي مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1995.

33: ماكس بيروني، ضرورة العلم، تر، وائل أتاسي، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب، الكويت، 1990.

34: مأمون عبد الكريم، رضا المريض عن الأعمال الطبية والجراحية، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، 2006.

35: محمد الحاج علي، سلوك الطبيب وأخلاقيات المهنة الطبية، ط 1، دار الفضائل، الإمارات العربية، 1999.

36: محمد جمال مطلق الذنيبات، الوجيز في القانون الإداري، ط 1، دار الثقافة لنشر والتوزيع، الأردن، 2003.

37: محمد حسين منصور، المسؤولية الطبية، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، (د، س)، (د، ط).

38: محمد عابد الجابري، قضايا الفكر المعاصر، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997.

39: محمد عاطف العراقي، الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا، دار المعارف، مصر، 1971.

40: محمد يوسف علوان، محمد خليل الموسى، القانون الدولي لحقوق الإنسان: المصادر ووسائل الرقابة، ج 1، ط 1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، 2005.

41: محمود إسماعيل عمار، حقوق الإنسان بين التطبيق والضياع، دار مجدلاوى للتوزيع والنشر، عمان، الأردن، 2002.

42: مروك نصر الدين، الحماية الجنائية للحق في سلامة الجسم، ط 1، الديوان الوطني للأشغال التربوية، 2003.

مصطفى النشار وآخرون، الفلسفة التطبيقية، دار المصرية اليهودية لطباعة والنشر
43: والتوزيع، القاهرة، 2005.

44: مفتاح سليم سعيد، الاستنساخ وما يشتبه به، ج 2، مركز الإعلام الأمني، البحرين، 2010.

45: ناهدة البقصمي، الهندسة الوراثية والأخلاق، عالم المعرفة المجلس الأعلى الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1993.

46: نور الدين حاروش، الإدارة الصحية وفق نظام الجودة الشاملة، ط 1، دار الثقافة للنشر، الأردن، 2012.

47: هيثم حامد المصاروة، نقل الأعضاء البشرية: بين الخطر والإباحة، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، 2003.

48: هيفاء النكيس، نقل الأعضاء وزرعها: أمل في البقاء ومعضلات التجربة، الأخلاقيات التطبيقية والرهانات المعاصرة للفكر الفلسفي، إصدارات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، 2016.

49: ول ديورانت، قصة الفلسفة، تر: فتح محمد المشعشع، ط 1، مكتبة المعارف، 1985.

50: ياسر محمد الفاروق المنياوي، المسؤولية المدنية الناشئة عن تلوث البيئة، دار الجامعة الجديدة، (د، ط)، (د، س).

51: يورغن هابرماس، مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، تر: جورج كتوره، ط 1، المكتبة الشرقية، 2006.

52: يورغن هابرماس، من الحداثة إلى المعقولية التواصلية، تر: جميلة حنيفي، منشورات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، 2016.

ب – المراجع باللغة الأجنبية:

1- Antoine courban, ethique de la bioéthique, théme d'une conférence donne à damas, le 06/12/2003 thexte publié à beyrouth dans la revue et jours, N° 73, printemps 2004.

2- Dave Anctil, plande cour, PHI4030 : Ethique applique : département de philosophie, DS 2518 (suvredez vou préalable), A 1723.

3- Dominique lecourt (sous la direction) dictionnaire de la pensée médiche, PUF, 2004.

4- Edgard marin : maisque l'ethique appliquée la morale non complexe obéit à un code binaire : bien lanl, juste, injuste l'éthique complexe conçoit que le bien puisse contenir un mal le mal un bien, puisse contenir un mal le mal un bien puisse contenir un mal le mal un bien, le juste de l'injuste et l'injuste du juste.

5- Gilbert Hottois, dignité humaine et bioétique une approche philosophique critique, Human dignityand bioéthics acritical philosophy approach.

6- Julia cheftel, base de bioéthique, section 1 : syllabus programme d'edcation en ethique, SHS/EST/2008/P1/P15 ,16.
7- Rouzha guessous, devenire bioéthicien (ne) tobecome bioethicist (2005-2007).

ثالثا- المعاجم والموسوعات:

أ – المعاجم:

01: ابن مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1983.
02: ابن منظور، لسان العرب، ط 3، الجزء العاشر، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1999.

03: جورج شاهين عطية، معجم المعتمد للغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007.

04: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978.
05: المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، بيروت، ط 1، 2005.

ب – الموسوعات:

01: أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب أحمد خليل أحمد، منشورات عويدات، بيروت، (د، س).
02: خالد بن جمعة بن عثمان الخراز، موسوعة الأخلاق، ط 1، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت، 2009.

رابعا- الدوريات:

01: المجلات:

01: الأخلاقيات التطبيقية، عنابة، 2010.

02: بنوك الأجنة المحرمة قطعا لسد الضرائب، 2010.

03: الخلية الجذعية، العدد 341، 2008.

04: دفاتر فلسفية، العدد 09، القاهرة، 2015.

05: فلسفة العولمة وبيانها النظري، العدد 07، 2011.

06: مجلة أسيوط للدراسات البيئية، العدد 30، 2006.

07: مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، العدد 11، الوادي، 2015.

08: مجلة الرافد، العدد 56، 2013.

09: مجلة الكوفي للعلوم القانونية والسياسية، العراق، 2006.

10: مجلة دراسات فلسفية، العدد 03، 2014.

ب- الرسائل الجامعية:

01: زهية العايب، الأخلاق الجديدة لمستقبل الإنسانية والطبيعة عند هانس يوناس، الماجستير، قسنطينة، 2010.

02: العمري حربوش، التقنيات الطبية وقيمتها الأخلاقية في فلسفة فرانسوا داغوني، الماجستير، قسنطينة، 2008.

03: قفاف فاطمة، زراعة الأعضاء البشرية بين التجريم والإباحة، الماجستير، بسكرة، 2014.

04: كمال خابر، الإشكالية الأخلاقية، الماجستير، الجزائر، 2011.

05: محتال آمنة، التأطير القانوني للعمل الطبي على الجينوم البشري، الدكتوراه، تلمسان، 2016.

06: يحي سعيد قاعود، أطروحات فوكوياما وهينتغتون والنظام العالمي الجديد (دراسة تحليلية مقارنة)، الماجستير، القاهرة ، 2014.

ج: القوانين والندوات والمواقع الإلكترونية:

01: رجاء بن سلامة: مقال حول البيوإتيقا، سلطة التقنية وتنافر القيم، موقع الحصاد رابط المقال:

http//VF11.blog spot/12/blogpost.post1383html.

02: محمد جديدي: البيوإتيقا ورهانات الفلسفة القادمة.

http//VF11.blog spot/12/blogpost.post1383html.

03: محمد جديدي: البيوإتيقا مقاربة علمانية، مؤمنون بلا حدود 4 سبتمبر 2015.

www.mominoun.com/10/os/2016.

04: مفكرة الإسلام: الحدود الشرعية والأخلاقية للتجارب الطبية على الإنسان في الفقه الإسلامي متاحة على الرابط: www.mominoun.com

05: محمد الهواري: الاستنساخ البشري بين الثورة العلمية والضوابط الأخلاقية والفقهية، المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث.

Httpwww.is/amonline.netservlet.

06: عبد الحميد القضاة: الاستنساخ جديد أم قديم، الجمعية الإسلامية، المستشفى الإسلامي، الأردن، 1997. www.un.ovg

07: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان 1984، المادة 23.

08: بنية بري: تجارة الأجنة وعولمة الأنساب، ندوة بعنوان تجارة البيوضات والمنويات والأجنة البشرية، بيروت، 2011.


فهرس الموضوعات



فهارس البحث

فهرس الموضوعات:

فهرس الموضوعات: